بسم الله الرحمن الرحيم
وبه ثقتي وهو حسبي (١)

الحمد لله نحمده ، ونستعينه ، ونستهديه ، ونستغفره . ونعوذ بالله من شرورِ أنفسنا ، ومن سيئاتِ أعمالنا . مَنْ يَهْدِهِ الله فلا مُضِلَّ له ، ومن يضلل فلا هاديَ له .

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لاشريكَ له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسـوله ، أرسله بين يدي السَّاعة بشيراً ونذيراً ، وداعياً إلى الله بإذنه وسِرَاجاً مُنيراً ، فهدى به من الضَّلاَلة ، وبصَّر به من العَمى ، وأرشد به من الغَيِّ ، وفتح به أعْيُناً عُمياً ، وآذاناً صُمّاً ، وقُلوباً غُلفاً ، صلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلَّم تسليماً كثيراً .

---

(١) في مخطوطة دار الإفتاء في الرياض: «وبه نستعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم». وسأكتفي فيما بعد بالإشارة إلى فروق هذه النسخة بحرف (ف) اختصاراً.

فصـــل

أخرج الإمام أحمد من حديث ابن عُمَرَ [1] رضي الله عنهما ، عن النَّبيِّ ، ﷺ ، قال : « **بُعِثْتُ بالسَّيفِ بَين يَدَي السَّاعَةِ ، حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ ، وجُعِلَ رِزْقي تَحْتَ ظِلِّ رُمحي ، وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْري ، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ منهُم** » .

وخرَّج أبو داود آخره ، وهو قوله : « **مَنْ تَشَبَّهَ بقومٍ فَهُو مُنْهُم** » [2] .

---

(١) هو عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، آخر صحابي ، توفي بمكَّة سنة (٧٣) وقيل : (٧٤) هـ . انظر « الإصابة » (٢/٣٤٧) و « شذرات الذهب » (١١/٣١٠ ـ ٣١١) .

(٢) رواه أحمـد في « مسنده » (٢/٥٠ و٩٢) ، وابن أبي شيبة في « مصنفه » (٥/٣١٣) وإسناده حسن ، وقد صحح إسناده الحافظ العراقي في « تخريج إحياء علوم الدين » (١/٢٦٩) ، وجوَّده شيخ الإسلام ابن تيمية في « اقتضاء الصراط المستقيم » صفحة (٨٢) ، وله شاهد مرسل بإسناد حسن عند ابن أبي شيبة في « مصنفه » (٥/٣٢٢) من طريق الأوزاعي عن سعيد بن جبلة عن طاووس عن النَّبيِّ ﷺ بتمامه . وأخرج القطعة الأخيرة « من تشبَّه بقوم فهو منهم » أبو داود في سننه رقم (٤٠٣١) ولهذه القطعة الأخيرة شاهد من حديث حذيفـة رضي الله عنـه أخـرجهـا الطبراني في « الأوسط » كما في « مجمع الزوائد » (١٠/٢٧١) وقد علق البخاري بعضه في صحيحه (٦/٧٢) .

فقـوله ، ﷺ ، : « **بُعِثْتُ بالسَّيف** » يعني أن الله بعثه داعياً إلى توحيده بالسَّيف بعـد دعـائـه بالحُجَّة ، فمن لم يستجب إلى التوحيد بالقرآن والحُجَّة والبَيَان ، دُعِيَ بالسَّيف .

قال الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنا بالبَيِّناتِ ، وَأَنْزَلْنَا مَعَهُم الكِتَابَ والمِيزَانَ لِيَقُـومَ النَّاسُ بالقِسْطِ ، وَأَنْزَلْنَا الحَدِيدَ فِيه بَأْسٌ شَدِيدٌ ومَنَافِعُ للنَّـاس ، ولِيَعْلَمَ اللهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بالغَيبِ ، إنَّ الله قويٌّ عَزِيزٌ ﴾ [الحديد : ٢٥] .

وفي الكتب السَّـالفـة : وُصِفَ النَّبيُّ ، ﷺ ، بأنـه يُبْعَثُ بقَضيبِ الأدبِ ، وهو السَّيف .

ووصَّى بعضُ أحبـار اليهـود عنـد موتـه باتِّبـاعه وقال : إنه يَسْفِكُ الدِّمَاءَ ، ويَسْبي الذَّرَاري والنِّساء ، فلايمنعهم ذلك منه .

وروي أنَّ المسيح ، عليه السـلام ، قال لبني إسرائيل في وَصْفِ النَّبيِّ ، ﷺ ، « إنَّه يَسُلُّ السَّيفَ ، فيدخُلونَ في دِينهِ طَوْعاً وكَرْهاً » .

وإنَّما أَمَرَ النَّبيُّ ، ﷺ ، بالسَّيف[1] [بعد الهجرة لَمَّا صار له دارٌ وأَتْبَاع وقُوة ومَنَعة ، وقد كانَ يتهدَّد أعداءه بالسَّيف] قبل الهجرة .

وكـان ، ﷺ ، يطوفُ بالبيت وأشـرافُ قريش قد اجتمعوا بالحِجْر وقالوا : مارأينا مثل ماصبرنا عليه من هذا الرجل ، قد سَفَّه أحلامنا ، وشتم آباءنا ، وعاب دِيننا ، وفرَّق جماعتنا ، وسَبَّ آلهتنا . لقد صبرنا منه على أمر عظيم . فلما مرَّ النَّبيُّ ، ﷺ ، غَمَزُوه[2] ببعض القول ،

---

(١) في (ف): بالقتال.

(٢) أي : عابوه وطعنوا فيه .

فَعُـرِفَ ذلـك في وجهـه ، ﷺ ، وفعلوا ذلك به ثلاث مَرَّاتٍ ، فوقف فقال : « أَتَسْمَعُونَ يَامَعْشَرَ قُرِيش ؟ أَمَا وَالذي نَفْسُ مُحمدٍ بيَدِهِ ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بالذَّبحِ [1] » فأخذتِ القومَ كَلِمَتُهُ ، حتَّى مافيهم [2] رجل إلاّ كأنَّمـا على رَأسـه طيرٌ [3] واقـع ، وحتَّى إن أشـدَّهم عليه قبـل ذلك ليلقـاه [4] بأحسن مايجد من القول ، حتّى إنه ليقول : انصرف يا أبا القَاسم رَاشِداً ، فوالله مَا كُنْتَ جهولاً [5] .

وقال محمد بن كعب [6] : بلغ النَّبيَّ ، ﷺ ، أن أبا جَهْلٍ يقول : إن محمـداً يزعم أنكم إن بايعتموه عِشْتم ملوكاً ، فإذا متم بُعثتم بعد

(١) مجاز عن الهلاك .

(٢) في « مسند أحمد » (٢/٢١٨) و« مجمع الزوائد » (٦/١٥) : « حتى مامنهم » .

(٣) في « مسند أحمد » و« مجمع الزوائد » : « طائرٌ » .

(٤) في « مسند أحمد » : « ليرفأ » وفي « مجمع الزوائد » : « ليرفؤه » أي يُهدِّئُهُ ويُسَكِّنهُ ويرفق به .

(٥) رواه أحمد في « المسند » (٢/٢١٨) عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهمـا . وذكره الحافظ الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/١٥ و١٦) وقال في آخره : قلت : في الصحيح طرفٌ منه ، رواه أحمد ، وقد صَرَّح به إسحـاق بالسَّمَـاع ، وبقية رجـالـه رجـال الصحيح ، وذكر نحوه أبو يعلى الموصلي في « مسنده » (١٣/٣٢٤) عن عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وإسناده حسن .

(٦) هو محمد بن كعب القُرَظي التَّابعي ، توفي سنة (١٠٨) هـ وقيل غير ذلك . انظر « سير أعلام النبلاء » (٥/٦٥ ـ ٦٨) و« شذرات الذهب » (٢/٤٦) وإسناده هذه الرِّواية منقطع .

موتكم ، وكانت لكم جِنَانٌ خيرٌ من جِنَان الأُرْدُنِّ ، وأنكم إن خالفتموه ؛ كان لكم منه الذَّبحُ ، ثم بُعثتم بعد موتكم وكانت لكم نارٌ تُعذَّبونَ بها [1] ، فبلغ النَّبيَّ ، ﷺ ، قوله ، فقال : « وَأَنَا أَقُولُ ذَلِكَ إنَّ لَهُم مِنِّي لَذَبْحاً ، وإني [2] لآخِذُهُم » .

وقد أمر الله تعالى بالقتال في مواضعَ كثيرةٍ .

قال تعالى : ﴿ فاقْتلوا المُشْركينَ حَيْثُ وَجَدْتُموهم ، وخُذُوهُم وَاحْصُرُوهم واقْعُدُوا لهم كُلَّ مَرْصَدٍ ﴾ [التوبة : ٥] .

وقال : ﴿ فَإذَا لَقِيتُم الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ ، حتَّى إذا أَثْخَنْتُموهم فَشُدُّوا الوَثَاقَ ، فإمَّا مَنًّاً بَعْدُ وإمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد : ٤] .

ولهذا عُوتبوا على أخذ الفِدَاء منهم في أول قتالٍ قاتلوه يوم بدرٍ ، ونزل قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ لنبيٍّ أَنْ يَكونَ له أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ في الأرض ، تُريدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا والله يُريدُ الآخِرَةَ ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

وكانوا قد أَشَارُوا على النَّبيِّ ، ﷺ ، بأخذ الفِدَاء من الأسارى وإطلاقهم .

قال ابن عيينة [3] : أُرْسِلَ محمدٌ ، ﷺ ، بأربعة سيوفٍ : سيفٌ على المشركين من العرب ، حتَّى يُسْلموا ، وسيفٌ على المشركين من

---

(١) في المطبوع : « فيها » .

(٢) في المطبوع : وإنه .

(٣) هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهُذَلي الكوفي ، أبو محمد ، مُحَدِّثُ الحرم المكِّي ، وُلد بالكُوفة ، وسكن مكَّة ، وتُوفي بها سنة (١٩٨) هـ وإذا أُطْلِقَ « سُفْيانُ » عند المُحَدِّثين فهو المَعْنِيُّ بذلك . انظر « العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين » (٤/٥٩١ ـ ٥٩٢) و « شذرات الذهب » (٢/٤٦٦ ـ ٤٦٧) .

غيرهم ، حَتَّى يُسْلموا أو يُسْتَرقُّوا أو يُفَادَى [1] بهم ، وسيفٌ على أهل الكِتَاب حتى يُعطوا الجِزْيَةَ ، وسيفٌ على أهل القِبلة من أهل البغي .

وفيما ذكره نِزَاعٌ بين العلماء ، فإن منهم من يجيز المُفَادَاةَ والاسترقاق في العرب وغيرهم ، وكذلك منهم من يُجيز أخذ الجزية[2] من الكُفَّار جميعهم .

والـذي يظهر أنَّ في القرآن أربعةَ سيوفٍ : سيفٌ على المشركين ، حتَّى يُسْلموا أو يُؤسَرُوا ، ﴿ فإمَّا مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فِدَاءً ﴾ [محمد : ٤] ، وسيفٌ على المُنَـافقين ، وهـو سيف الزَّنَادِقَة ، وقد أمر الله بجهادهم والإِغْـلاظِ عليهـم في سورة براءَة [3] وسـورة التحـريم [4] وسـورة الأحزاب [5] ، وسيفٌ على أهل الكتاب ، حتَّى يُعطوا الجِزْيَة ، وسيفٌ على أهل البَغْي ، وهو المذكور في سورة الحُجُرَات [6] . ولم يَسُلَّ ،

---

(١) في المطبوع : « يقادوا » وهو خطأ .

(٢) في (ف): أخذ الفدية.

(٣) وهو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيهم ﴾ [التوبة : ٧٣] .

(٤) وهو قوله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبيُّ جَاهِدِ الكُفَّارَ وَالمُنَافِقِينَ واغْلُظْ عَلَيهم ﴾ [التحريم : ٩] .

(٥) لعله يريد قوله تعالى : ﴿ لِيُعَذِّبَ الله المُنَافِقِينَ والمُنَافِقَاتِ ﴾ [الأحزاب : ٧٣] ولكن ليس فيها المعنى الذي أراده ، وهو الجهاد ، والإغلاظ .

(٦) وذلك في قوله تعالى : ﴿ وإن طَائِفَتَانِ مِنَ المُؤمنينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإنْ بَغَت إحْدَاهُمَا عَلَى الأخرى فَقَاتِلوا التي تَبْغي حتَّى تَفيءَ إلى أمْرِ الله ﴾ [الحجرات : ٩] .

ﷺ ، هذا السَّيفَ في حياتــه ، وإنَّما سَلَّهُ عليٌّ[1] رضي الله عنـه في خلافته ، وكان يقول : « أَنَا الَّذي عَلَّمتُ النَّاسَ قِتَالَ أَهْلِ القِبْلَةِ » .

وله ، ﷺ ، سيوفٌ أُخرُ ، منها سيفه على أهل الرِّدَّة ، وهو الذي قال فيه : « مَنْ بَدَّلَ دِيْنَهُ فَاقْتُلُوهُ »[2] وقد سلَّه أبو بكر الصِّدِّيق رضي الله عنه من بعده في خلافته على من ارتدَّ من قبائل العرب .

ومنها سيفه على المارقين ، وهم أهل البدع كالخوارج ، وقد ثبت عنه الأمر بقتالهم مع اختلاف العلماء في كفرهم . وقد قاتلهم عليٌّ رضي الله عنه في خلافته مع قوله : « إنهم ليسوا بكفار » .

وقـد روي عن عليٍّ رضي الله عنه ، أنَّ النَّبيَّ ، ﷺ ، أمر بقتالِ المارِقين والنَّاكِثينَ والقَاسِطِين[3] . وقد حَرَّق عليٌّ طائفة من الزَّنَادِقَة ، فصوَّب ابنُ عَبَّاس قتلَهم ، وأنكر عليه تحريقهم بالنَّار ، فقال عَليٌّ : « وَيْحَ ابن عَبَّاس **الْبَحَّاث عَنِ الهَنَاتِ**».

قوله ، ﷺ ، : « **بَيْنَ يَدَي السَّاعَةِ** » يعني أَمَامَهَا ، ومُراده أنَّهُ بُعِثَ قُدَّامَ السَّاعَة قريباً منها .

---

(١) في (ف): عمر.

(٢) هو قطعــة من حديث رواه أحمـد في « المسنـد » (١/٢٨٢) والبخـاري (١٢/٢٣٨) في استتابـة المرتدين ، وفي الجهاد ، باب لايعذب بعذاب الله ، والتـرمذي رقم (١٤٥٨) وأبو داود رقم (٤٣٥١) والنسائي ٧/١٠٤) وابن ماجه رقم (٢٥٣٥) كُلّهم من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

(٣) أي الظالمين .

ومن أسمائه ، ﷺ ، الحَاشِرُ ، والعَاقِب ، كما صَحَّ عنه ، ﷺ ، أنه قال : « أنا مُحَمدٌ ، وأحمد ، و[أنا] الماحِي ، الذي يمحو الله بِيَ الكُفْرَ ، و[أنا] الحاشر الذي يُحْشَرُ النَّاسُ على قَدَمَيَّ ، و[أنا] العاقب »[1] ، و[العاقب] الذي ليسَ بَعْدي نبيٌّ .

وقد جَعَل الله انشقاق القَمَر من عَلَاماتِ اقتراب السَّاعة ، كما قال تعالى : ﴿ اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وانْشَقَّ القَمَرُ ﴾ [القمر : ١] . وكان انشقَاقُه بمكَّة قبل الهِجْرَة .

وصَحَّ عنه ، ﷺ ، أنه قال : « بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ كَهَاتَين » وأشار بأُصبعيه : السَّبابةِ والوسْطى ، خَرَّجاه في « الصحيحين »[2] .

---

(١) رواه البخاري في « صحيحه » (٨/٤٩٢) في تفسير سورة الصّف ، وفي الأنبياء ، باب ماجاء في أسماء النَّبيِّ ﷺ ، ومسلم رقم (٢٣٥٤) والترمذي رقم (٢٨٤٢) وأحمد في « المسند » (٤/ ٨٠ و ٨١ و ٨٤) كلهم من حديث جُبير بن مطعم رضي الله عنه . وقوله في آخر الحديث : والعاقب الذي ليس بعده نبيٌّ ، تفسير للعاقب من بعض الرواة .

(٢) رواه البخاري رقم (٤٦٥٢) في تفسير سورة النازعات ، ورقم (٤٩٩٥) في الطلاق ، ورقم (٦١٣٨) في الرقاق ، ومسلم رقم (٢٩٥٠) في الفتن ، من حديث سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه ، ورواه البخاري رقم (٦١٣٩) ومسلم رقم (٢٩٥١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، ورواه البخاري رقم (٦١٤٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، وهو جزء من حديث طويل رواه مسلم رقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

وخرَّج الإمام أحمد من حديث بُرَيدة « بُعِثْتُ أنا والسَّاعةُ جميعاً إنْ كادت لتسبقني »[1] .

وللترمذي « بُعِثْتُ في نَفسِ السَّاعة ، فَسَبَقْتُها كَمَا سَبَقَتْ هَذِهِ لِهَذِهِ ـ لأُصْبَعَيْهِ السَّبَـابَةِ والوسْطى[2] ـ ليس بينهما أصبع أخرى » بعض الناس حمله على أن المـراد أنه ليس بينه وبين السَّاعة نبيٌّ آخر كما بين السبّابة والوسطى ، والصحيح أنه يدل من ذلك على القرب من السَّاعة .

وكان قَتَادَةُ يشير إلى أن المُرَاد بينه وبين السَّاعة كمقدار فضل السبَّابة على الوسطى ، وقد قيل : إن بينهما من الفضل مقدار نصف سبع ، وأُخذ من هذا أن بقاء أمته ألف سنة ، وهو سُبُع الدُّنيا . وقد ورد ذلك مرفوعاً من حديث ابن زميل ، ولكن إسناده لايصح ، وقد رجح ذلك ابن الجوزي[3] والسُّهَيلي[4] وقال : إن لم يصحّ فيه الحديث المرفوع ، فقد صحَّ عن ابن عَبَّاس وغيره ، وهو عند أهلِ الكتاب كذلك[5] .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/٣٤٨) من حديث بُريدة وهو ابن الحُصَيب الأسْلَميّ رضي الله عنه ، مات سنة (٦٢) هـ . انظر « شذرات الذهب » (١/٢٨١) .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٢١٤) من حديث المستورد بن شدَّاد رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شواهد بمعناه يقوى بها ، منها الذي قبله .

(٣) هو أبـو الفـرج عبـد الـرحمن بن علي بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة (٥٩٧) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٦/٥٣٦ ـ ٥٣٩) .

(٤) هو عبد الرحمن بن عبد الله السُّهيلي ، تُوفي بمراكش سنة (٥٨١) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٦/٤٤٤ ـ ٤٤٥) .

(٥) هذا من علم الغيب الذي لايعلمه إلاّ الله تعالى .

ومما يدلُّ على أن بعثة محمد ، ﷺ ، من علامات السَّاعة أنه أخبر عن خروج الدَّجَّال[1] في حديث الجَسَّاسَة[2].

قوله ، ﷺ ، : « **حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ** » . هَذَا هُوَ المَقْصُودُ الأعظم من بعثته ، ﷺ ، بل من بعثة الرُّسُل من قبله ، كما قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إلاّ نُوحِي إليهِ أنَّه لاَ إلَه إلاّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾ [الأنبياء : ٢٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدوا اللهَ واجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾ [النَّحل : ٣٦] .

بل هذا هو المقصود من خلق الخَلْق وإيجادهم . كما قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الجِنَّ والإنْسَ إلاّ لِيَعْبُدونِ ﴾ [الذاريات : ٥٦] فما خلقهم إلاّ ليأمرهم بعبادته ، وأخذَ عليهم العهد لَمَّا استخرجهم من صُلْب آدمَ على ذلك ، كما قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهورِهِم ذُرِّيَّتَهم وأَشْهَدَهُم على أنفسِهم أَلَسْتُ بِرَبِّكُم ؟ قالوا بَلى ، شَهِدْنَا ﴾ الآية [الأعراف : ١٧٢] .

وقد تكَاثرتِ الأحاديثُ المرفوعةُ ، والآثارُ الموقوفةُ في تفسير هذه الآية أنه تعالى استنطقهم حينئذ ، فأقرُّوا كُلُّهم بوحدانيته ، وأشهدَهم على أنفسهم ، وأشهدَ عليهم أباهم آدم والملائكة .

---

(١) في (ف): أن الدجّال أخبر عن خروجه.

(٢) حديث الجسَّاسة ، رواه مسلم رقم (٢٩٤٢) في الفتن ، وأبو داود رقم (٤٣٢٥) والترمذي رقم (٢٢٥٤) وابن ماجه رقم (٤٠٧٤) من حديث فاطمة بنت قيس رضي الله عنها .

ثم إنه تعالى تعاهدهم في كُلِّ زَمَانٍ بإرْسالِ الرُّسُلِ ، وإنْزالِ الكُتُبِ (١) ، يذكِّرهم بالعهد الأولِ ، ويُجَدِّدُ عليهم العهد والميثاق على أنْ يوحِّدوه ويعبدوه ، ولايُشركوا به شيئاً ، وأَشَار في خِطابِ آدم وحَوَّاء عند هبوطِهما من الجَنَّة إلى هذا المعنى في قوله تعالى : ﴿ قُلْنا اهبِطُوا منها جميعاً ، فإمَّا يأتِيَنَّكم مِنِّي هُدَىً ، فمن تَبِعَ هُدَايَ فلاخَوْفٌ عليهم ولا هم يحزنون * والَّذين كَفَروا وكَذَّبوا بآياتِنَا أُولئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فيها خَالِدُون ﴾ [البقرة : ٣٨ و ٣٩] . وفي سورة طه نحو هذا (٢) .

فما وفَّى بنو آدم كلهم بهذا العَهْدِ المأخوذ عليهم ، بل نقضه أكثرهم ، وأشركوا بالله مالم يُنَزِّلْ به سلطاناً ، فبعث الله الرُّسُلَ تجدِّد ذلك العهد الأول وتدعوا إلى تجديد الإقرار بالوحدانية .

فكان أول رسول بُعِثَ إلى أهل الأرض يدعو إلى التوحيد وينهى عن الشِّرْك نوح عليه السلام (٣) ، فإنَّ الشِّرْكَ قد فَشَا في الأرض في بني آدم قبل نوحٍ ، فبعث الله نوحاً إلى قومه، فلبث في قومه ألفَ سنةٍ إلَّا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله وإلى عبادته وحده لا شريكَ له، كما ذكر سبحانه وتعالى في سورة نُوح عنه أنه قال لقومه: ﴿اعْبُدُوا الله واتَّقُوهُ وأَطِيعُونِ﴾ [نوح: ٣].

---

(١) في المخطوط : « وإنزال كتاب » وما أثبتناه من المطبوع ، وهو أصوب .

(٢) وذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَميعاً بَعْضُكُم لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَايَضِلُّ وَلَايَشْقَى ﴾ [طه : ١٢٣] .

(٣) رواه البخاري (٦/٢٦٥) في الأنبياء ، و(٨/٣٠٠) في التفسير ، ومسلم رقم (١٩٤) في الإيمان ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأخبر في موضع آخر عنه أنه قال لهم : ﴿ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكم مِنْ إلَهٍ غَيْرُهُ ﴾ [الأعراف : ٥٩] فما استجابَ له إلّا قليلٌ منهم ، وأكثرهم أصَرُّوا على الشِّرْكِ ﴿ وَقَالوا لاتَذَرُنَّ آلهتَكم وَلاَتَذَرُنَّ وَدّاً وَلاَ سُوَاعاً ، وَلاَيَغُوثَ ويَعُوقَ ونَسْراً ﴾ [نوح : ٢٣] فلمّا أصرُّوا على كفرهم ، أغرقهم الله بالطُّوفَانِ ونجَّى نوحاً ومَنْ آمن معه في الفلك ﴿ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إلّا قَلِيل ﴾ [هود : ٤٠] .

ثم إن الله تعالى بَعَثَ إبراهيم خليله ، عليه السلام ، فدعا إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ، وناظر على ذلك أحسن مناظرة ، وأبطل شُبَه المشركين بالبراهين الواضحة ، وكسر أصنام قومه حتى جعلهم جذاذاً [١] فأرادوا تحريقه[٢] فَنَجَّاهُ الله من النَّار وجعلها عليه برداً وسلاماً ، ووهب الله له إسماعيلَ وإسحاق ، فجعل عامَّة الأنبياء من ذُرِّيَّةِ إسحاق ، فإن إسرائيل هو يَعْقُوب بن إسحاق ، وأنبياء بني إسرائيل كُلُّهم من ذُرِّيَّةِ يعقوبَ ، كيوسفَ ، وموسى ، وداودَ ، وسليمانَ ، عليهم السلام . وآخرهم المسيحُ ابنُ مريم ، عليه السلام . وإنما دعا إلى التوحيد كما قال تعالى : ﴿ مَاقُلْتُ لَهُمْ إلّا مَا أَمَرْتَني بِهِ ، أنِ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكم ﴾ [المائدة : ١١٧] .

ثم طَبَّق الشِّركُ الأرضَ بعد المسيح ، فإن قومه الذين ادَّعَوْا اتِّبَاعَهُ والإيمانَ به أشركوا غاية الشِّرك ، فجعلوا المسيح هو الله ، أو ابن الله ، وجعلوا أُمَّه ثالث ثلاثة .

---

(١) أي فُتاتاً .

(٢) في المطبوع : «حريقه».

وأمـا اليهودُ، فإنهم وإن تبرؤوا من الشِّرْكِ، فالشِّرْكُ فيهم موجود، فإنه كان فيهم من عَبَـدَ العِجْلَ في حياة موسى ، عليه السلام ، وقال فيه : إنَّه الله ، وإنَّ موسى نسي ربَّه وذهب يطلبه ، ولا شِرْكَ أعظمُ من هذا .

وطائفة قالوا : العُزَيْرُ [1] ابن الله ، وهذا من أعظم الشِّرْكِ .

وأكثرهم اتَّخذوا أحبارَهم ورُهبانَهم أرباباً من دون الله ، فأحلُّوا لهم الحـرام ، وحرَّموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم ، فكانت تلك عبادتهم إيَّاهم ، لأنَّ من أطاع مخلوقاً في معصية الخالق ، واعتقد جواز طاعته أو وجوبها ، فقد أشرك بهذا الاعتبار ، حيث جعل التحليل والتحريم لغير الله .

وأمـا المجـوس ، فَشِرْكُهم ظاهِرٌ ، فإنَّهم يقولون بإلَهين قديمين ، أحـدهمـا نورٌ ، والآخـر ظُلمـةٌ ، فالنُّور خالق الخير ، والظُّلمة خالق الشَّرِّ . وكانوا يعبدون النِّيرانَ .

وأمـا العـرب ، والهِنْـد ، وغيرهم من الأمم ، فكانوا أظهرَ النَّاسِ شِرْكاً ، يعبدون مع الله آلهةً كثيرة ، ويزعمون أنَّها تُقَرِّبُ إلى الله زُلْفى .

فلمـا طَبَّق الشِـرْكُ أقـطار الأرض ، واستـطار شَرَرُهُ في الآفاق من المشرق إلى المغرب ، بعث الله محمداً ، ﷺ ، بالحنيفيَّة المَحْضَة ، دينِ إبراهيم ، عليه السلام ، وأمره أن يدعوَ الخلق كُلَّهم إلى توحيد الله وعبادته وحده لاشريك له ، فكان يدعو سِرّاً إلى ذلك نحو ثلاث سنين ،

---

(١) قال الزَّبيدي في « تاج العروس » (عزر) (١٣/٢٦ ـ ٢٧) : عُزَيْرٌ ، تصغير عَزْر اسم نبيٍّ مختلف في نبوَّته ، وقال ابن كثير : المشهور أن عزيراً نبي ، انظر « البداية والنهاية » (٢/٤٦) .

فاستجاب له طائفة من النَّاس ، ثم أُمِرَ بإعلان الدَّعوة وإظهارها ، وقيل له : ﴿ فاصْدَعْ بما تُؤمَرُ ﴾ [الحجر : ٩٤] فدعا إلى الله وإلى توحيده وعبادته وحده لاشريك له جهراً ، وأعلن الدَّعوة ، وذمَّ الآلهة التي تُعبد من دون الله ، وذمَّ من عبدها ، وأخبر أنه من أهلِ النَّار ، فثار عليه المشركون ، واجتهدوا في إيصال الأذى إليه وإلى أتباعه ، وفي إطفاء نور الله الذي بعثه به ، وهو لايزداد إلّا إعلاناً بالدَّعوة وتصميماً على إظهارها وإشهارها والنِّدَاء بها في مجامع النَّاس .

وكان يخرج بنفسه في مواسم الحَجِّ إلى من يقدَم إلى مَكَّة من قبائل العرب فيعرض نفسه عليهم ، ويدعوهم إلى التوحيد ، وهم لايستجيبون له ، بل يردُّون عليه قوله ، ويُسمعونه مايكره ، وربما نالوه بالأذى . وبقي عشر سنين على ذلك يقول : « مَنْ يَمْنَعُني حَتَّى أُؤدِّيَ رِسَالاَتِ رَبِّي ، فإنَّ قُريشاً قد مَنعوني أن أُؤدِّيَ[1] رِسَالاَتِ رَبِّي »[2] .

وكان يشُقُّ أسواقهم في المواسم وهم مزدحمون بها كسوق المجاز ، ينادي : « يَا أَيُّهَا النَّاسُ قُولُوا : لا إله إلّا الله تُفْلِحُوا »[3] ووراءه عمّه أبو

(١) في (ف): أبلغ.

(٢) رواه أحمد في « المسند » (٣/٣٢٢ و ٣٩٠) وأبو داود رقم (٤٧٣٤) والترمذي رقم (٤٩٢٦) في عرض النبي ﷺ على تبليغ القرآن ، وابن ماجه رقم (٢٠١) والحاكم في « مستدركه » (٢/٦١٢) وصححه ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا . كلهم من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣/٤٩٢) و (٤/٣٤١) من حديث ربيعة بن عِبَاد الدِّيلي ، وابن حبَّان رقم (١٦٨٣) « موارد » من حديث طارق بن عبد الله المحاربي ، وهو حديث حسين ، وانظر « مجمع الزوائد » (٦/٢١ و ٢٢) فإن له عدة روايات .

لهب يؤذيه ويردُّ عليه وينهى النَّاسَ عن اتِّباعه .

واجتمع المُشركون مَرَّةً عند عَمِّه أبي طالب يشكونه إليه ويقولون : شتم آلهتنا ، وسفَّه أحلامنا ، وسبَّ آباءنا ، فَمُرْهُ فَلْيَكُفَّ عن آلهتنا . فقال أبو طالب للنَّبيِّ ، ﷺ ، أجب قومك فيما سألوه ؟ فقال : « أَنَا أَدْعُوهُم إلى خَيرٍ مِنْ ذَلِكَ : أن يَتكلَّموا كلمةً تَدينُ لهم بهَا العَرَبُ ، ويَمْلِكُونَ بِهَا العَجَمَ » فقال أبو جهل : نعطيكها وعشر أمثالها ، قال : « تَقُولُونَ لا إله إلاّ الله » فنفَروا عند ذلك ، وتفرَّقوا وهم يقولون : ﴿ أَجَعَلَ الآلِهَةَ إلهاً وَاحِداً إنَّ هذا لَشَيءٌ عُجَابٌ ﴾ [ص : ٥] (١) .

وفي رواية إنه ، ﷺ ، قال لعمه : « ياعَمّ [وَاللهِ] لَوْ وَضَعُوا الشَّمْسَ في يَميني والقَمَرَ في يَسَاري عَلَى أَنْ أَتْرُكَ هذا الأَمْرَ مَا تَرَكْتُهُ حَتَّى يُظْهِرَهُ الله أَوْ أَهْلِكَ فِيْهِ [مَا تَرَكْتُهُ] » (٢) .

---

(١) رواه أحمد في « المسند » (٢/ ٢٢٧ و ٣٦٢) والترمذي رقم (٧٨٥) في تفسير سورة (ص) والحاكم في « مستدركه » (٢/ ٤٣٢) من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ، وصححه الحاكم ، ووافقه الذهبي ، وذكره السيوطي في « الدُّر المنثور » (٥/ ٢٩٥) وزاد نسبة لابن أبي شيبة ، وعبد بن حميد ، والنسائي ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم .

(٢) أخرجه ابن إسحاق في المغازي ، وذكره ابن هشام في السيرة (١/ ٢٦٦) قال ابن إسحاق : وحدَّثني يعقوب بن عتبة بن المغيرة بن الأخنس أنه حدَّث أن قريشاً حين قالوا لأبي طالب هذه المقالة . . . فقال رسول الله ﷺ : « ياعم والله لو وضعوا الشمس في يميني . . . » وإسناده معضل ، فإن يعقوب بن عتبة من ثقات أتباع التابعين ، مات سنة (١٢٨) هـ . لكن للحديث طريق أخرى عند ابن عساكر من حديث عقيل بن أبي طالب بسند حسن بلفظ « ما =

قال ، ﷺ ، : « لَقَدْ خِفْتُ في الله وَمَا يَخَافُ أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ في الله وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاثُونَ ـ منْ بين يوم ٍ وليلة ـ وَمَا لِيَ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ إلاّ شيءٌ يُواريه إبْطُ بِلاَل » (١) .

وفي رواية عنه ، ﷺ ، قال : « مَا أُوذِيَ أَحَدٌ في الله مَا أُوذِيت » (٢) .

كان العدو يَجهد له في نيل الأذى ، والصَّديق يلوم على هذا الاحتمال إذا كان كذا ، والمحبة تقول حبذا هذا الشقاء إذا كان في رضى الحبيب والدعوة إلى التوحيد ، حبذا :

وَقَفَ الهَوى بي حَيثُ أنتَ فليس لي ... متأَخَّرُ عَنْهُ وَلاَ مُتَقَدَّمُ
أَجِدُ المَلاَمَةَ في هَوَاكَ لَذِيذَةً ... حُبَّاً لِذِكْرِكَ فَلْيَلُمْنِي اللُّوَّمُ

ثم إن أبا طالب لمَّا توفي وتوفيت بعده خديجة (٣) ، اشتدَّ المشركون

= أنا بأقدر على أن أدع لكم ذلك ، على أن تشعلوا لي منها شعلة » يعني الشمس ، وانظر « مختصر تاريخ ابن عساكر » (١٧/١١٥) ، قال الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/١٥) ورواه الطبراني في « الأوسط » و « الكبير » ، وأبو يعلى باختصار ، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح .

(١) رواه الترمذي رقم (٢٤٧٤) وابن ماجه رقم (١٥١) وابن حبَّان رقم (٢٥٢٨) « موارد » ، وهو حديث حسن . وقال الترمذي : هذا حديث حسن صحيح ، وانظر معناه عند الترمذي .

(٢) انظر « ميزان الاعتدال » للذهبي (٣/٥٧٠) و (٤/٤٧٢) .

(٣) قال ابن هشام : وكان موتهما قبل مُهَاجره إلى المدينة بثلاث سنين . انظر « السيرة النبوية » (١/٤١٦) .

على رسـول الله ، ﷺ ، حتَّى اضـطَّروه إلى أن خـرج مـن مَكَّة إلى الـطائف ، فدعـاهم إلى عبادة الله وحده لاشريك له ، فلم يجيبوه ، وقـابلوه بغـاية الأذى ، وأمـروه بالخـروج من أرضهم ، وأَغْـرَوْا به سُفهاءَهم ، فاصطفُّوا له صَفَّين ، وجعلوا يرمونه بالحجارة حتى أَدْمَوْه ، فخرج ، ﷺ ، ومعه مولاه زيد بن حَارثة ، فلم يمكنه دخول مَكَّة إلّا بجوار ، وطلب من جماعة من رؤساء قريش أن يجيروه حتَّى يدخل مَكَّة فلم يفعلوا ، حتَّى أجاره المُطْعِم بن عَدِيٍّ (١) ، فدخل في جواره ، وعاد إلى ماكان عليه من الدُّعاء إلى توحيد الله وعبادته .

وكـان يقف بالموسم على القبائل فيقول لهم قبيلةً قبيلةً : « يَابَنِي فُلان ، إنِّي رَسُـولُ الله إلَيْكُمْ ، يَأْمُـرُكُمْ (٢) أَنْ تَعْبُـدُوهُ وَلاَ تُشْـرِكُوا بِهِ شَيْئاً » (٣) ولايقبلون منه وأبو لهب خلفه يقول : لاتُطيعوه .

وكان ، ﷺ ، يُنادي « مَنْ يُؤْوِيني ؟ مَنْ يَنْصُرُني ؟ حتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي ولَهُ الجَنَّة »(٤) ، فلا يُجيبه أحدٌ حتَّى بعثَ الله له الأنصارَ من المدينة فبايعوه .

هذا كُلُّه ، وهو صابرٌ على الدَّعوة إلى الله عَزَّ وجل على هذا الوجه ،

---

(١) انظر ترجمته ومصادرها في « الأعلام » (٢٥٢/٧) الطبعة الرابعة .

(٢) في « مسند أحمد » (٤٩٢/٣) : « آمُرُكُمْ » .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٤٩٢/٣) وهو جزء من حديث ربيعة بن عِبَاد الدِّيلي ، وهو حديث حسن . وانظر « مجمع الزوائد » (٣٦/٦) .

(٤) رواه أحمد في « المسند » (٣٢٢/٣ و ٣٣٩) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما ، وإسناده حسن .

راضٍ بمـا يحصـل له فيهـا من الأذى ، منشرحُ الصَّدر بذلك ، غير مُتَضَجِّرٍ منه ولا جَزِعٍ . كان إذا اشتكى أحد من أصحابه يقول لهم: « إنِّي عَبْدُ الله وَلَنْ يُضَيِّعَنِي » .

صِرْتُ لَهُـم عَبـداً وَمَـا للعَـبْـدِ أَنْ يَعْـتَـرِضَـا
مَنْ لِمَـرِيضٍ لَا يرى إلّا الـطَّبيبَ المُمْـرِضَـا؟

وفي « الصحيح » عن عائشة قالت : قلت : يا رسول الله ، هل مَرَّ عليك يوم كان أَشَدَّ من يوم أُحد ؟ فقال : « لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ [وكَانَ أَشَـدَّ] مَا لَقِيتُ مِنْهُم يومَ العَقَبَـة ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسي على ابن عَبْـدِ يَاليل بن عَبْدِ كُلال ، فَلَمْ يُجبني إلى مَا أَرَدْتُ ، فانْطَلَقْتُ وَأَنا مَهْمُومٌ عَلى وَجْهي ، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلاّ وَأنَا بقَرْنِ الثَّعَالِب [١] ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي ؛ فَإذا أَنَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْني ، فَنَظَرْتُ فَإذَا فِيها جِبْرِيلُ ، فَنَادَانِي ، فقال : إنَّ الله سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ ، وَقَدْ بَعَثَ الله إلَيْكَ مَلَكَ الجِبَـال لِتَـأْمُـرَهُ بِمَـا شِئْتَ فِيهم ، قَالَ : فَنَادَانِي مَلَكُ الجِبَالِ فَسَلَّمَ عَليَّ ، ثُمَّ قَالَ : إنَّ الله قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ ، وَأَنَا مَلَكُ الجِبَالِ ، وَقَـدْ بَعَثَني رَبُّـكَ إلَيْكَ لِتَـأْمُرَني بِأَمْرِكَ وَمَا شِئْتَ ، إنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ الأَخْشَبَينِ [٢] عليهم ، فَقَالَ لَهُ رسول الله ، ﷺ ، : بَلْ أَرْجُو أنْ يُخْرِجَ

(١) هو قَرْنُ الثعَـالب ، جمـع ثعلب : موضـعٌ تلقـاء مَكَّـة . انـظر « معجم ماستعجم » (٢/١٠٦٧) .
(٢) الأَخْشَبَانِ : هما جبلا مكَّة . قاله الرازي في « مختار الصحاح » (خشب) .

اللهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللهَ وَحْدَهُ لاَيُشْرِكُ بِهِ شَيئاً »[1] .

ما مقصود الرَّسول ، ﷺ ، إلاّ أنْ يُعْبَدَ اللهُ ولايُشْرَكَ به شيءٌ ، وما يُبالي ـ إذا حصل ذلك ـ ما أصابَهُ في الدَّعوة إليه ، إذا وُحِّدَ مَعْبُودُهُ ، حَصَلَ مَقْصُودُهُ ، إذا عُبِدَ مَحْبُوبُهُ ، حَصَلَ مَطْلُوبُهُ ، إذَا ذُكِرَ رَبُّهُ ، رَضِيَ قَلْبُهُ ، وأَمَّا جِسْمُهُ فَمَا يُبَالي أَصَابَهُ في سَبيلِ رَبِّهِ مَا يُؤْلِمُهُ ، أَوْ مَا يُلائِمُهُ .

إنْ كَانَ سَرَّكُمُ مَا قَدْ بُلِيتُ بِهِ ... فَمَا لِجُرْحٍ إذَا أرْضَاكُمُ أَلَمُ
وحَسْبُ سُلْطانِ الهَوَى أَنَّهُ ... يلذّ[2] فيهِ كُلُّ مَا يُؤْلِمُ

وكان كلما آذاه الأعداء إذا دعاهم إلى مولاهم ، رجع إلى مولاه فتسلَّى بعلمه ونظره إليه وَقُرْبِهِ منه ، واشتغل بمناجاته ، وذِكره ودعائه وخِدْمَتِهِ ، فَنَسِيَ كُلَّ مَا أَصَابَهُ مِنَ الألم من أجله ، وقد أَمَرَهُ اللهُ بذلك في القرآن [العظيم] في مواضع كثيرة ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَاصْبِر لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإنَّكَ بأَعْيُنِنَا ، وسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ، وَمِنَ اللَّيلِ فَسَبِّحْهُ وَإدْبَارَ النُّجُوم ﴾ [الطور : ٤٨ و ٤٩] .

وقوله : ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الغُرُوب ﴾ [ق : ٣٩] .

---

(١) رواه البخاري (٦/ ٢٢٤ و٢٢٥) في بدء الخلق ، باب ذكر الملائكة ، وفي التوحيد ، باب (وكان الله سميعاً بصيراً) ، ومسلم رقم (١٧٩٥) في الجهاد ، باب مالقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ، من حديث عائشة رضي الله عنها .

(٢) في المطبوع: يؤلف.

وقوله : ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ * واعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ اليَقِينُ ﴾ [الحِجْر : ٩٧ - ٩٩] .

وكان ، ﷺ ، إذا حَزَبَهُ أمرٌ قامَ إلى الصَّلاة [١] لأنَّ الصَّلاة صِلَةٌ .

وكان يقول : « وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي في الصَّلاَةِ » [٢] .

سُرُوري مِنَ الدَّهْرِ لُقْيَاكُمُ ... ودارُ سَلاَمِي مَغْنَاكُمُ
وأَنْتُم مُنْتَهَى أَمَلِي مَا حَيِيتُ ... وَمَا طَابَ عَيْشِيَ لَوْلاَكُمُ
إِذَا ازْدَحَمَتْ في فُؤادِي الهُمُومُ ... أُرَوِّحُ قَلْبِي بِذِكْرَاكُمُ
فَلاَ تَنْسَوُا العَهْدَ فيمَا مَضَى ... فَلَسْنَا مَدَى الدَّهْرِ نَنْسَاكُمُ
وأَسْتَنْشِقُ الرِّيحَ مِنْ أَرْضِكُمْ ... لَعَلِّيَ أَحْظَى بِرُؤْيَاكُمُ

فلم يزل ، ﷺ ، يدعو إلى عبادة الله وإلى توحيده وعبادته وَحْدَهُ لاشريك لَهُ ، حَتَّى ظَهَرَ دِينُ الله ، وأُعلي ذِكره وتوحيده في المَشَارِقِ والمَغارِب ، وصارت كلمةُ الله هي العُليا ، ودِينهُ هو الظَّاهر ، وتوحيده هو الشَّائع ، وصَارَ الدِّين كُلُّه لله ، والطَّاعةُ كُلُّها له جلَّ جلاله ، ودخَلَ

(١) رواه أحمد في « المسند » (٥/٣٨٨) وأبو داود في « سننه » رقم (١٣١٩) من حديث حُذيفة رضي الله عنه ، وهو حديث حسن .

(٢) هو جزء من حديث رواه أحمد في « المسند » (٣/١٢٨ و ١٩٩ و ٢٨٥) والنسائي (٧/٦١) في عشرة النساء ، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وإسناده حسن . ورواه الحاكم في « مستدركه » (٢/١٦٠) وصححه ، ووافقه الذهبي ، وأوله « حُبِّبَ إليَّ مِن الدُّنيا : النِّسَاءُ ، والطِّيبُ ، وجُعِلَ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة » .

النَّـاس في دِينِ الله أفْـواجاً ، فَجُعِلَ ذلك عَلَامةً على اقترابِ أَجَلِهِ ، ﷺ ، وأُمِرَ حينئذٍ بالتهيُّؤ للقاء الله ، والنُّقلة إلى دَارِ البَقَاء .

وكان المعنى : أن قد حصل المقصود من إرسالك ، وظهر توحيدي في أقطار الأرض ، وزال منها ظلام الشِّركِ ، وحصلت عبادتي وَحْدي لاشَـريكَ لي ، وصَـارَ الـدِّينُ كُلُّه لي ، فأنـا أستـدعيك إلى جِواري لأجزيك أعظم الجزاء ﴿ وَلَلآخِرَةُ خيرٌ لَكَ مِنَ الأولى ۞ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضى ﴾ [الضحى : ٤ و ٥] .

وفي صِفَتِـه ، ﷺ ، في التـوراة « وَلَنْ أَقْبِضَـهُ حَتَّى أُقِيمَ بِهِ المِلَّةَ العَـوْجَـاءَ ، بأَنْ يَقُـولُوا : لَا إلهَ إلّا الله ، وأَفْتَحَ بِهِ أعْيُناً عُمْياً ، وَآذَاناً صُمّاً ، وَقُلُوباً غُلْفاً » (١) .

وكان النَّبيُّ ، ﷺ ، إنَّما يُقَاتل على دخول النَّاس في التَّوحيد كما قال : « أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاس حَتَّى يَقُولوا : لَا إلهَ إلّا الله ، فَإِذَا قَالوها عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُم وَأَمْوَالَهُمْ إلَّا بِحَقِّ الإسلام ، وَحِسَابُهُم على الله تَعَالى » (٢) .

---

(١) رواه الـبـخـاري (٤/٢٨٧) في الـبـيوع ، باب ماذكـر في الأسـواق ، و (٨/٤٤٩) في التفسير ، تفسير سورة الفتـح ، من حديث عبـد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

(٢) رواه البخاري (١/٧٠ و ٧١) في الإيمان ، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة ، ومسلم رقم (٢٢) في الإيمـان ، من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضـي الله عنـهـمـا ، ورواه الـبـخـاري (٣/٢١١) في أول الـزكـاة ، و(١٢/٢٣٣) ومسلم رقم (٢٠) و (٢١) وأبو داود رقم (١٥٥٦) والترمذي =

وكان إذا بعث سَرِيَّةً للغزوِ يُوصي أميرهم بأن يدعو عدوَّه عند لقائهم إلى التَّوحيد .

وكذلك أمر معاذَ بنَ جبل لمَّا بعثه إلى اليمنِ أن يدعوَهُم إلى شهادة التَّوحيد .

وكذلك أمرَ عليَّ بنَ أبي طالب حين بعثه لقِتال أهل خيبر .

وَرُوي عنه ، ﷺ ، أنه كان إذا بعث بعثاً قال : « تَأَلَّفُوا النَّاسَ وَتَأَنَّوا بهم [1] وَلاَ تُغِيرُوا عَلَيهم حَتَّى تَدْعُوهُم ، فَمَا عَلى الأرض مِنْ أهل بَيْتِ مَدَرٍ وَلاَ وَبَرٍ ، إلاّ أنْ تَأْتُونِي بِهِم مُسْلِمين أَحَبَّ إليَّ مِنْ أَنْ تَأْتُوني بِنِسَائِهِمْ وَأَوْلاَدِهِمْ وَتَقْتُلُوا رِجَالَهُمْ » [2] .

قوله ، ﷺ ، : « **وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي** » إشارة إلى أن الله لم يبعثه بالسَّعي في طَلَبِ الدُّنيا ، ولا بجمعها واكتنازها ، ولا الاجتهاد في السَّعي في أسبابها ، وإنما بعثه داعياً إلى توحيده

= رقم (٢٦١٠) والنسائي (١٤/٥) وابن ماجه رقم (٣٩٢٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(١) كذا في الأصل : « تألفوا الناس وتأنوا بهم » من التأني ، وفي « تاريخ دمشق » لابن غساكر (٤١٠/٤٠) « وتأوبوهم » من الأوب ، وهو الرجوع ، أي استميلوا قلوبهم إلى الإيمان بالله تعالى .

(٢) رواه الحافظ ابن عساكر في « تاريخه » (٤١٠/٤٠) عن ابن مندة مرسلاً من حديث عبد الرحمن بن عائذ الثمالي ، ويقال : الكندي الحمصي ، وهو تابعي ، ووهم من ذكره في الصحابة ، وهو مرسل ضعيف . وأورد هذا الحديث صاحب « كنز العمال » (٤٣٧/٤ و ٤٦٩) .

بالسَّيف ، ومِن لاَزِمِ ذلكَ أن يقتلَ أعداءه الممتنعين عن قبول دعوة التوحيد ، ويستبيحَ أموالهم ، ويسبيَ نِسَاءَهُم وذراريهم ، فيكون رزقه مما أَفَاءَ الله من أموال أعدائه ، فإنَّ المالَ إنَّما خلقه الله لبني آدم ليستعينوا به على طاعته وعبادته ، فمن استعان به على الكُفر بالله والشِّرْكِ بِهِ ، سَلَّطَ الله عليهِ رسوله ، ﷺ ، وأتباعه فانتزعوه منه ، وأعادوه إلى من هو أوْلى به من أهل عبادة الله وتوحيده وطاعته ، ولهذا يُسمَّى الفيءُ فيئاً، لرجوعه إلى من كان أحقَّ به، ولأجله خُلق، وكان في القرآن المنسوخ « إنَّمَا أَنْزَلْنَا المَالَ لإقَامِ الصَّلاَةِ وإيتَاءِ الزَّكَاةِ » .

فأهل التوحيد والطَّاعة لله أحقُّ بالمال من أهل الكُفر به والشِّرْكِ ، فلذلكَ سَلَّطَ الله رسوله وأتباعه على من كفر به وأشركَ ، فانتزع أموالهم ، وجعل رزق رسوله ، ﷺ ، من هذا المال ، لأنَّه أَحَلُّ الأموال كما قال تعالى : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلاَلاً طَيِّبَاً ﴾ [الأنفال : ٦٩] وهذا ممَّا خصَّ الله به محمداً ، ﷺ ، وأمَّته ، فإنَّه أحَلَّ لهم الغنائم ، ولم تحلَّ لأحدٍ مِنَ الأمم قبلهم ، إنما كانوا يجمعونها ، فتأتي النَّارُ من السَّماء فتأكلها ، وعَلِمَ الله ضعف هذه الأمَّة فأحَلَّ لهم الغَنَائِمَ .

وقد قيل : إن الذي خصَّ بِحِلِّه هذه الأمَّة هو الغنيمة المأخوذة بالقتال، دون الفيءِ المأخوذ بغير قتال، فإنه كان حلالاً مُباحاً لمن قبلنا ، وهو الذي جُعِلَ رِزْقُ رسوله منه . وإنَّما كان أَحَلَّ من غيره لوجوه :

منها : أنه انتزاعُ مال مِمَّن لايستحقه لأنَّه يستعين به على معصية الله والشِّرْكِ به ، فإذا انتزعه منه وأعطاه لمن يستعين به على طاعته وتوحيده

والدَّعوة إلى عبادته ، كان ذلك أحبَّ الأموال إلى الله ، وأطيب وجوه اكتسابها عنده .

ومنها : أنه ، ﷺ ، إنما كان يُجاهد لتكون كلمة الله هي العُليا ، ودِينهُ هو الظَّاهر ، لا لأجل الغَنيمة ، فيحصل له الرِّزْقُ تبعاً لعبادته وجهاده في الله ، فلايكون فَرَّغَ وقتاً من أوقاته لطلب الرزق محضاً ، وإنَّما عَبَدَ الله في جميع أوقاته وحده فيها ، وأخلص له ، فجعل الله له رِزْقه مُيَسَّراً في ضمن ذلك من غير أن يقصده ولايسعى إليه .

وجاء في حديث مرسل أنه ، ﷺ ، قال : « أَنَا رَسُولُ الرَّحْمَةِ ، وأَنَا رَسُولُ المَلْحَمَةِ ، إنَّ الله بَعَثَني بالجِهَادِ ، ولَمْ يَبْعَثني بالزَّرْعِ »[1] .

وخرَّج البغويُّ[2] في « معجمه » حديثاً مرسلاً : « إنَّ الله بَعَثَني بالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ ، وَلَمْ يَجْعَلْني زَرَّاعاً وَلاَ تَاجِراً ، وَلاَ سَخَّاباً بالأَسْوَاقِ ، وَجَعَلَ رِزْقِي في رُمْحِي »[3] .

---

(١) ذكره السُّيوطي في « الجامع الصغير » (١/٣٦٤) من رواية ابن سعد عن مجاهد مرسلاً ، وأوله « أنا محمد ، وأحمد ، أنا رسول الرحمة . . . » الخ فهو ضعيف بهذا السِّياق ، ولكن ثبت في أحاديث أُخَر أنه ﷺ رسول الرحمة ورسول الملحمة ، وقد بُعِثَ للجهاد ، ولكنه لم يثبت أنه بُعث بالزَّرع .

(٢) هو أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي ، مات سنة (٣١٧) هـ وكتابه هو « معجم الصحابة » . انظر « شذرات الذهب » (٤/٨٣) ، و« الأعلام » (٤/١١٩) .

(٣) ورواه بنحوه الدَّيلمي في مسند الفردوس كما في « كنز العمال » رقم (٣٢٠٩١) وهو ضعيف بهذا السِّياق بتمامه ، بالزراعة والتجارة ، ولكنه ﷺ =

وإنَّمـا ذَكَرَ الرُّمْحَ ، ولَم يَذْكُرِ السَّيفَ لئلا يقال : إنه ، ﷺ ، يُـرْزَق من مال الغنيمة ، إنَّما كان يرزق مما أفاء ألله عليه من خيبر وفدك .

والفيء ماهرب أهله منه خوفاً وتركوه ، بخلاف الغنيمة فإنها مأخوذة بالقتال بالسَّيف ، وذِكْرُ الرُّمْحِ أقرب إلى حصول الفيء ، لأنَّ الرُّمْحَ يراه العدو من بُعْدٍ فيهرب ، فيكون هرب العدو من ظِلِّ الرُّمْحِ ، والمأخوذ به هو مال الفيء ، ومنه كان رزقُ النَّبيِّ ، بخلاف الغنيمة ، فإنها تحصل من قتال السيف ، والله تعالى أعلم .

وقال عمر بن عبد العزيز [1] : إنَّ الله تعالى بَعَثَ مُحَمَّداً هَادِياً ، ولَمْ يبعثهُ جابياً .

فكان ، ﷺ ، شُغْلُهُ بطاعة الله ، والدَّعوة إلى التَّوحيد ، ومايحصل في خلال ذلك من الأموال من الفيء والغنائم ، يحصل تبعاً ، لا قصداً أصلياً ، ولهذا ذمَّ مَنْ تَرَكَ الجهاد ، واشتغل عنه باكتساب الأموال . وفي

= بُعث بالهُدى ودين الحق ، ولم يكن سَخّاباً في الأسواق ، وجعل رزقه تحت ظل رمحه ﷺ .

(١) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم أبو حفص الأموي التابعي ، الخليفة الراشد ، والإمام العادل ، سكن الناس في أيامه ، ومنع الخلاف ، وبـذل وسعـه في الاجتهـاد وفي طاعـة الله تعـالى وحرصه على اتِّباع آثار رسـول الله ﷺ والاقتـداء بسنَّتـه وسنَّـة الخلفاء الراشدين ، وكانت خلافته سنتين وخمسـة أشهـر ، فملأ الأرض قسطاً وعدلاً ، وسنَّ السُّنن الحسنة ، وأمات البِدع ، تُوفي رحمه الله بدير سمعان من أرض الشام سنة (١٠١) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٢/٥ ـ ٩) .

ذلك نزل قوله تعالى : ﴿ وَلاَ تُلْقُوا بَأَيْدِيكُم إلى التَّهْلُكَةِ ﴾ [البقرة : ١٩٥] لمَّا عزم الأنصار على ترك الجهاد والاشتغال بإصلاح أموالهم وأراضيهم .

وفي الحديث الذي خرَّجه أبو داود وغيره « إذَا تَبَايَعْتُم بالعِينَةِ (١) واتَّبَعْتُم (٢) أَذْنَابَ البَقرِ ، [وَرَضِيتُم بالزَّرْعِ] وَتَركْتُم الجِهَادَ ، سَلَّطَ الله عَلَيْكُم ذُلًّا لَايَنْزِعُهُ الله مِنْ رِقَابِكُم حَتَّى تُرَاجِعُوا دَيْنَكُم (٣) » (٤) .

ولهذا كره الصحابة رضي الله عنهم الدخول في أرض الخراج للزراعة فإنها تشغل عن الجهاد .

وقال مكحول (٥) : إنَّ المسلمين لمَّا قَدِموا الشام ذُكِرَ لهم زكاة زَرْع الحُولَةِ ، فزرعوها ، فبلغ ذلك عمر بن الخطاب ، رضي الله عنه ،

---

(١) العينة : أن يبيع شيئاً من غيره بثمن مؤجل ، ويسلم إلى المشتري ، ثم يشتريه قبل قبض الثمن بأقل من ذلك القدر يدفعه نقداً.

(٢) في « سنن أبي داود » و « سنن البيهقي » : « وأخذتم » .

(٣) لفظه عند أبي داود والبيهقي : « سَلَّطَ الله عليكم ذُلًّا لاينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

(٤) رواه أبو داود في « سننه » رقم (٣٤٦٢) في البيوع ، باب النهي عن العينة ، وأحمد في « المسند » (٢/٤٢ و ٨٤) والبيهقي في « سننه » (٥/٣١٦) كلهم من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما ، وهو حديث صحيح لطرقه .

(٥) هو مكحول الشامي أبو عبد الله ، تابعي ، تُوفي سنة (١١٣) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٢/٦٦ - ٦٨) .

فبعث إلى زرعهم وقد ابيضَّ وأَدْرَكَ فَحَرَّقَهُ بالنَّار ، ثم كتب إليهم : إنَّ الله جعل أرزاق هذه الأمَّة في أَسِنَّةِ رِمَاحِهَا ، وتحت أَزِجَّتِها [١] ، فإذا زرعوا كانوا كالنَّاس . خرَّجه أسد بن موسى [٢] .

وروى أيضاً[٣] بإسنادٍ له عن عمر أنه قال : من زَرَعَ زَرْعاً ، واتَّبَعَ أَذْنَابَ البقر ، ورَضِيَ بذَلِكَ ، وأقَرَّ بِهِ ، جَعَلْتُ عَلَيهِ الجِزْيَةُ .

وقيل لبعضهم : لو اتَّخذت مَزْرَعَةً للعيال ؟ فقال : والله ماجئنا زرَّاعين ، ولكن جئنا لنقتل أهل الزَّرْع ونأكُلَ زَرْعَهُم [٤] .

فأكمل حالات المؤمن أن يكون اشتغالُهُ بطاعة الله ، والجهاد في سبيله ، والدَّعوة إلى طاعته ، لايطلب بذلك الدُّنيا ، ويأخذ من مال الفيء ونحوه قَدْرَ الكِفَايَةِ ، كما كان النَّبيُّ ، ﷺ ، يأخذ لأَهْلِهِ قُوتَ سنته مِنْ مالِ الفيء ثم يقسم باقيه ، وربما رأى محتاجاً بعد ذلك فيقسم عليه قوت أهله ، فيبقى أهله بلاشيء .

وكذلك من يشتغل بالعلم ، لأنه أحد نوعي الجهاد ، فيكون اشتغاله بالعلم كالجهاد في سبيل الله والدَّعوة إليه ، فإن أخذ من أموال الفيء والوقف على العلم أخذ منه قدر الكفاية يتقوَّى به للاستعانة على جهاده ، ولاينبغي أن يأخذ أكثر من قدر كفايته من ذلك .

---

(١) أزجة ، مفردها زج : الحديدة التي في أسفل الرمح .

(٢) هو أسد بن موسى الأموي ، ويقال له : أسد السُّنَّة ، تُوفي سنة (٢١٢) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٥٧/٣) .

(٣) في المطبوع: وروري البيضاوي.

(٤) في هذا الكلام مبالغة ، والقصد من ذلك أننا ماجئنا زراعين ولكن جئنا مجاهدين .

وقد نصَّ أحمد على أن مال بيت المال كالخراج ، لايؤخذ منه أكثر من الكِفَاية ، فمال الوقف أضيق .

ومن اشتغل بطاعة الله فقد تَكَفَّلَ الله برزقه ، كما في حديث زيد بن ثابت [1] المرفوع : « مَنْ كَانَتْ الدُّنيا هَمَّهُ فَرَّقَ الله عَلَيهِ أَمْرَهُ ، وجَعَلَ فَقْرَهُ بينَ عَيْنَيهِ ، وَلَمْ يَأتِهِ مِنَ الدُّنيا إلاّ مَاكُتِبَ لَهُ ، وَمَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ الله لَهُ أمْرَهُ ، وَجَعَلَ غِنَاهُ في قَلْبِهِ ، وَأَتَتْهُ الدُّنيا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » خرَّجه الإمام أحمد ، وابن ماجه [2] .

وخَرَّجه الترمذيُّ من حديث أنس مرفوعاً : « إنَّ الله يَقُول : يا ابن آدَمَ تَفَرَّغ لِعِبَادَتي أمْلأْ صَدْرَكَ غِنًى ، وَأَسُدَّ فَقْرَكَ ، وَإلاّ تَفْعَلْ مَلأتُ يَدَيكَ شُغْلاً ، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ » [3] .

---

(١) هو زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي ، من كتّاب الوحي ، ومن أكابر الصحابة ، توفي رضي الله عنه سنة (٤٥) هـ انظر « شذرات الذهب » (٢٣٧/١) .

(٢) رواه أحمد في « المسند » (١٨٣/٥) وابن ماجه رقم (٤١٠٥) وابن حِبَّان في « صحيحه » رقم (٧٢) « موارد » ، من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه ، وهو حديث صحيح ، ورواه أيضاً الترمذي رقم (٢٤٦٧) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، وهو صحيح بالذي قبله .

(٣) رواه أحمد في « المسند » (٣٥٨/٢) وابن ماجه رقم (٤١٠٧) ورواه أيضاً الترمذي في « سننه » رقم (٢٤٦٨) في صفة القيامة . وابن حبان في «صحيحه» رقم (٢٤٧٧) «موارد» ، والحاكم في «المستدرك» (٤٤٣/٢) كل من حديث أبي هريرة ، ورواه أيضاً الحاكم (٣٢٦/٤) من حديث معقل بن يسار ، وصححه ، ووافقه الذهبي ، وهو كما قالا .

وخَرَّج ابن ماجه من حديث ابن مسعود مرفوعاً : « مَنْ جَعَلَ الهُمُومَ هَمَّاً وَاحِداً هَمَّ آخـرتِه، كَفَاهُ الله هَمَّ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الهُمُومُ في أحْوَالِ الدُّنيَا لَمْ يُبَالِ الله في أيِّ أوْدِيَتِهَا هَلَكَ » (١) .

وفي الآثار الإسرائيلية يقول الله : يادُنْيَا اخدُمي مَنْ خَدَمَني ، وَأتْعِبي مَنْ خَدَمَكِ (٢) .

قوله ، ﷺ ، : « **وجُعِلَ الذِّلَّةُ والصَّغَار عَلَى مَنْ خَالَفَ أمْرِي** » .

هذا يدلُّ على أن العِزَّ والرِّفْعة في الدُّنيا والآخرة بمتابعة أمرِ رَسُول الله ، ﷺ ، لامتثال متابعةِ أمر الله .

قال تعالى : ﴿ مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ الله ﴾ [النساء : ٨٠] .

وقال تعالى : ﴿ ولله العِزَّةُ ولِرَسُولِهِ ولِلْمُؤمِنِينَ ﴾ [المنافقون : ٨] .

وقال تعالى : ﴿ مَنْ كَانَ يُريدُ العِزَّةَ فَلِلَّه العِزَّةُ جَمِيعاً ﴾ [فاطر : ١٠] .

---

(١) رواه ابن ماجه رقم (٢٥٧) ورقم (٤١٠٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، وإسناده ضعيف ، ولكن له شاهد من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ، رواه الحاكم في « المستدرك » (٢/٤٤٣) فهو به حسن .

(٢) ذكره القضاعي في « مسند الشهاب » (٢/٣٢٥ و٣٢٦) وهو حديث موضوع .

وفي بعض الآثار : يقول الله تعالى : « أنَا العَزيزُ ، فَمَنْ أرَادَ العِزَّ فَلْيُطِعِ العَزيزَ » .

قال الله تعـالى : ﴿ إنَّ أَكْـرَمَكُم عِنْدَ الله أَتْقَاكُم ﴾ [الحُجُرَات : ١٣] . فالذِّلَّةُ والصَّغَار يحصل بمخالفة أمر الله ورسوله .

ومخالفة الرسول على قسمين :

أحـدهما : مخالفة من لايعتقد طاعة أمره كمخالفة الكُفَّار ، وأهل الكتاب الذين لايَرَوْنَ طاعة الرَّسول ، فهم تحت الذِّلَّةِ والصَّغَار ، ولهذا أمر الله بقتال أهل الكتاب حتَّى يُعطوا الجِزْية عن يَدٍ وهم صَاغرون ، وعلى اليهود الذِّلَّةُ والمسكنةُ ، لأنَّ كُفْرَهُم بالرَّسول كُفرُ عِناد .

والثاني : من اعتقد طاعته ثم يخالف أمره ، وهذا نوعان ، أحدهما من يخالف أمره بالمعاصي التي يعتقد أنَّها معصية ، فله نصيبٌ من الذِّلَّةِ والصَّغَار .

وقـال الحسن (١) : وإن طقـطقت بهم البغـال ، وهَمْلَجَت بهم البَرَاذِين (٢) فإنَّ ذُلَّ المعصية في رقابهم ، أبى الله أن يُذِلَّ إلاّ مَنْ عَصَاه .

---

(١) هو الحسن بن يسار البصري ، أبو سعيد : تابعي ، إمام أهل البصرة ، وأحد الفقهاء النصحاء ، كان له مواقف مع الحجاج ، وقد سلم من أذاه ، وإذا أُطلق « الحسن » عنـد أهل الحديث فالمراد هو ، تُوفي ـ رحمه الله ـ سنة (١١٠) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٢ / ٤٨ ـ ٦١) .

(٢) الطَقْطَقَة : حكاية صوت الحجارة . والهَمْلَجَة : نوع من المشية تُمرَّن عليها الدواب للخيلاء .

كان الإمام أحمد [1] يدعو : اللهمَّ أعِزَّنا بالطاعة ، ولا تُذِلَّنا بالمعصية .

قال أبو العتاهية [2] :

أَلَا إنَّمـا التَّقْـوى هِيَ العِزُّ والكَـرَمْ . وحُبُّـكَ للدُّنيَا هُوَ الـذُّلُّ والسَّقَمْ [3]
وَلَـيسَ عَلَى عَبْـدٍ تَقِـيٍّ نقـيصـةٌ إذَا حَقَّقَ [4] التَّقْوى وإنْ حَاكَ أَوْ حَجَمْ

فأهل هذا النَّوع خالفوا الرَّسول ، ﷺ ، من أجل داعي الشهوات .

والنَّوع الثاني : من خَالَفَ أمره من أجل الشُّبُهَات ، وهم أهل الأهواء والبِدَع ، فَكُلُّهم لهم نصيب من الذِّلَّةِ والصَّغَار بحسب مخالفتهم لأوامره .

---

(١) هو الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي البغدادي أبو عبد الله ، إمام أهل السُّنَّة في عصره ، وكبير علماء بغداد ، تُوفي ببغداد رحمه الله سنة (٢٤١) هـ .

(٢) البيتان في « ديوانه » ص (٣٩٤) طبع دار صادر ، وهو إسماعيل بن القاسم العَنَزي ، أبو إسحاق الشهير بأبي العتاهية ، شاعر مكثر ، تُوفي سنة (٢١١) هـ ، ومن شعره أيضاً :

أَلَا إنَّـنَـا كُلُّنَـا بَائِـدُ وأَيُّ بَنِـي آدَم خَالِـدُ
وَبَـدْؤهُـم كَانَ مِن رَبِّـهِـمْ وكُـلٌّ إلَـى رَبِّـهِ عَائِـدُ
فياعَجَباً كَيفَ يُعْصَى الإلَـ ـهُ أم كَيفَ يَجْحَدُهُ الجَاحِدُ
وفـي كُلِّ شَيءٍ لَهُ شَاهِـدٌ يَدُلُّ عَلَى أنَّـهُ وَاحِـدُ

وانظر « شذرات الذهب » (٣/٥٢ ـ ٥٥) .

(٣) في « ديوانه » : « والعَدَمْ » .

(٤) في « ديوانه » : « إذا صَحَّحَ » .

قال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا العِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ في الحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَكَذَلِكَ نَجْزِي المُفْتَرِينَ ﴾ [الأعراف : ١٥٢] .

وأهل الأهواءِ والبِدَع كُلُّهم مفترون على الله ، وبدعتهم تتغلَّظ بحسب كثرة افترائهم عليه ، وقد جعل الله من حَرَّم ما أَحَلَّهُ الله ، وحَلَّلَ ماحَرَّمَهُ الله ، مُفترياً عليه الكَذب ، فمن قال على الله ما لايعلم ، فقد افترى عليه الكذب ، ومن نَسَبَ إلى الله ما لايجوز نسبته إليه ، من تمثيلٍ أو تعطيلٍ ، أوكذبٍ بأقداره ، فقد افترى على الله الكذب ، وقد قال الله عزَّ وجل : ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيْم ﴾ [النُّور : ٦٣] .

قال سُفْيَان (١) : الفتنة أن يطبع الله على قلوبهم .

فلهذا تغلَّظت عقوبة المبتدع على عقوبة العاصي ، لأنَّ المبتدع مُفْتَرٍ على الله ، مخالفٌ لأمرِ رسوله لأجلِ هواه .

فأما مخالفة بعض أوامر الرَّسول ، ﷺ، خطأً من غيرِتَعَمُّدٍ مع الاجتهاد على متابعته ، فهذا يقع كثيراً من أعيان الأمَّة من علمائها وصلحائها ، ولا إثمَ فيه ، بل صاحبه إذا اجتهد فله أجرٌ على اجتهاده ، وخطؤه موضوع عنه ، ومع هذا فلايمنع ذلك من علم أمر رسول الله ، ﷺ ، الذي خالفه هذا : أن يُبيِّن للأمَّة أن هذا مخالف لأمر الرَّسول ،

---

(١) هو سفيان بن عُيَيْنَة الهِلَاليُّ الكُوفي أبو محمد . تقدَّم التعريف به . انظر حاشية الصفحة (٦) .

ﷺ ، نصيحةً لله ولرسوله ولعامَّة المسلمين ، ولايمنع ذلك من عظمة من خالف أمـره خطأً ، وهب أن هذا المخالف عظيم له قدر وجلالة وهو محبوب للمؤمنين ، [إلاّ أنَّ حقَّ الرَّسول ، ﷺ ، مقدَّم على حَقِّه ، وهو أوْلى بالمؤمنين] من أنفسهم .

فالواجب على كُلِّ من بلغه أمر الرَّسول ، ﷺ ، وعَرَفه أن يبيِّنه للأمَّةِ وينصح لهم ، ويأمـرهم باتِّبـاع أمره وإن خالف ذلك رأي عظيم من الأمَّة ، فإنَّ أمر رسول الله ، ﷺ ، أحقّ أن يعظَّم ويُقتدى به من رأي معظَّمٍ قد خالف أمره في بعض الأشياء خطأً .

ومن هنا ردَّ الصَّحابة ومن بعدهم من العلماء على كلِّ من خالف سُنَّةً صحيحـة ، وربما أغلظوا في الرَّدِّ ـ لا بُغضاً له ، بل [هو] محبوبٌ عندهم ، مُعظَّمٌ في نفوسهم ـ لكنَّ رسولَ الله ، ﷺ ، أحبُّ إليهم ، وأمـره فوق أمـر كُلِّ مخلوق . فإذا تعـارض أمر الرَّسول ، ﷺ ، وأمر غيره ، فأمـر الرَّسول ، ﷺ ، أوْلى أن يُقدَّم ويُتَّبع ، ولايمنع من ذلك تعظيم من خالف أمره وإن كان مغفوراً له ، بل ذلك المخالف المغفور له لايكره أن يخالف أمره إذا ظهر أمر رسول الله ، ﷺ ، بخلافه ، بل يرضى بمخـالفـة أمـره ومتـابعـة أمـر رسول الله ، ﷺ ، إذا ظهر أمره بخلافه ، كما أوصى الشافعيُّ : إذا صحَّ الحديث في خلاف قوله أن يُتَّبـع الحـديث ويُترك قوله . وكان يقول : ماناظرت أحداً فأحببت أن يُخـطىء ، ومـا ناظـرت أحداً فباليت أَظَهـر الحقُّ على لسانه أو على لساني ، لأنَّ تناظرهم كان لظهور أمر الله ورسوله ، لا لظهور نفوسهم والانتصار لها .

وكذلك المشايخ والعارفون كانوا يوصون بقبول الحقِّ مِنْ كُلِّ مَنْ قال الحقَّ صغيراً كان أو كبيراً ، وينقادون لقوله .

وقيل لحاتم الأصم (١) : أنت رجل أعجميٌّ لاتُفْصِحُ ، وما ناظرتَ أحداً إلّا قطعتَهُ ، فبأيِّ شيءٍ تغلب خصمك ؟ قال : بثلاث ، أفرح إذا أصاب خصمي ، وأحزن إذا أخطأ ، وأحفظ لساني عن أن أقول له مايسوؤه ، فذُكِرَ ذلك للإمام أحمد ، فقال : ماكان أعقله من رجلٍ .

وقد رُوي عن الإمام أحمد أنه قيل له : إنَّ عبد الوهَّاب الورَّاق (٢) يُنْكِرُ كذا وكذا ، فقال : لا نزال بخير مادام فينا من يُنْكِر .

ومن هذا الباب قولُ عُمَرَ لمن قال له : اتَّقِ الله ياأمير المؤمنين ، فقال : « لاَخَيْرَ فِيكُم إنْ لَمْ تقولُوهَا لنا ، ولاخيرَ فِينا إذَا لم نقبَلْها مِنْكُم » .

وردَّت عليه (٣) امرأة مقالته ، فرجع إليها وقال : « رَجُلٌ أخطأ وامرأةٌ أصَابَتْ » (٤) .

---

(١) هو حاتم بن عُنْوَان أبو عبد الرحمن ، المعروف بالأصمّ ، زاهدٌ ، اشتهر بالوَرَع والتَّقَشف ، له كلام في الزُّهد والحكم ، وهو من أهل بَلْخ ، زار بغداد واجتمع بالإمام أحمد بن حنبل ، وشهد بعض مَعارك الفتوح ، تُوفي رحمه الله سنة (٢٣٧) هـ . انظر « شذرات الذهب » (١٦٨/٣ - ١٧٠) .

(٢) هو عبد الوهاب بن عبد الحكم الورَّاق البغدادي أبو الحسن ، الإمام القُدوة الرَّبَّاني الحجَّة . مات سنة (٢٥١) هـ . انظر « سير أعلام النبلاء » (٣٢٣/١٢ - ٣٢٤) .

(٣) يعني على عُمَرَ رضي الله عنه .

(٤) لم يثبت هذا عن عمر رضي الله عنه بسند صحيح .

فلايزال النَّـاسُ بخيرٍ ماكان فيهم الحقُّ وتبيين أوامر الرَّسول، ﷺ ، التي خالفها من خالفها وإن كان معذوراً مجتهداً مغفوراً له ، ولهذا مما خصَّ الله به هذه الأمَّة لحفظ دينها الذي بعث الله به رسوله ، ﷺ ، « أنْ لاتَجْتَمِعَ عَلَى ضَلاَلَةٍ »[1] بخلاف الأمم السالفة .

فهاهنا أمران :

أحـدهمـا : أنَّ من خالف أمر الرَّسول ، ﷺ ، في شيء خطأ مع اجتهاده في طاعته ومتابعته أوامره ، فإنه مغفورٌ له لاينقص درجته بذلك .

والثـاني : أنَّـه لا يمـنع تعظيمه ومحبَّته من تبيين مخالفة قوله لأمر رسـول الله ، ﷺ ، ونصيحـة الأمَّة بتبيين أمر الرَّسول ، ﷺ ، لهم ، ونفس ذلـك الـرجـل المحبـوب المعظَّم لو علم أنَّ قوله مخالفٌ لأمر الـرسول ، لأحبَّ من يبيِّن للأمَّة ذلك ، ويُرشدهم إلى أمر الرَّسول ، ﷺ ، ويردُّهم عن قولـه في نفسه ، وهذه النُّكْتَة تخفى على كثيرٍ من الجُهَّال بسبب [غُلُوِّهم في التقليد][2]، ويظنُّ أن الردَّ على معظَّم من عالمٍ وصالحٍ تنقُّصٌ به ، وليس كذلك ، وبسبب الغفلة عن ذلك ، تبدَّل دِين أهل الكتاب ، فإنَّهم اتَّبعوا زلَّات علمائهم ، وأعرضوا عمَّا جاءت به أنبياؤهم ، حتَّى تبـدَّل دِينهم ، واتَّخـذوا أحبارَهم ورهبانهم

---

(١) أخرجه الترمذي في « سننه » رقم (٢١٦٨) في الفتن ، باب لزوم الجماعة ، وفي سنـده سليمان بن يوسف وهو ضعيف ، ولكن له شاهد عند الترمذي والحاكم في « المستدرك » (١/١١٦) بسند صحيح من حديث ابن عبّاس ولفظه : « لايَجْمَعُ الله أمَّتي عَلَى ضَلاَلَةٍ ، ويَدُ الله على الجَمَاعة » فالحديث بهذا الشاهد صحيح .

(٢) في (ف) بسبب جهله.

أربـابـاً مِنْ دون الله . فأحلُّوا لهم الحـرام ، وحرَّموا عليهم الحلال ، فأطاعوهم ، فكانت تلك عبادتهم إيَّاهم ، فكان كلَّما كان فيهم رئيس كبير معـظَّم مُطاع عند الملوك ، قُبِلَ منه كُلُّ ماقال ، وتحمل الملوك النَّاس على قوله ، وليس فيهم من يردّ قوله ، ولا يُبيِّن مخالفته للدِّين .

وهذه الأمَّة عصمها الله عن الاجتماع على ضلالة ، فلابدَّ أن يكون فيها من يبيِّن أمر الله ورسوله ، ولو اجتهدت الملوك على جمع الأمَّة على خلافه ، لم يتمَّ لهم أمرهم ، كما جرى مع المأمون (١) والمُعْتَصِم (٢) والـواثق (٣) ، حيث اجتهـدوا على إظهار القول بخلق القرآن ، وقتلوا النَّاس وضربوهم ، وحبسوهم على ذلك ، وأجابهم العلماء تَقِيَّةً وخوفاً ، فأقام الله إمام المسلمين في وقتهم أحمد بن حنبل ، فردَّ باطلهم حتَّى اضمحلَّ أمره ، وصار الحقُّ هو الظَّاهر في جميع بلاد الإسلام والسُّنَّةِ ، ولم يكن الإمام أحمد يُحابي أحداً في مخالفة شيء من أمر الرَّسول ، ﷺ ، وإن دَقَّ ، ولـو عظم مخالفه في نفوس الخلق ، فقد تكلَّم في بعض أعيان مشايخ العلم والدِّين لمسألة أخطأها ، فحمل أمره حتى لمَّا

---

(١) هو عبد الله بن هارون الرشيد ، أبو العباس ، سابع الخلفاء من بني العباس في العراق ، توفي سنة (٢١٨) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/٨١ - ٨٩) .

(٢) هو محمد بن هارون الرشيد ، أبو إسحاق المعتصم بالله ، أخو المأمون ، توفي سنة (٢٢٧) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/١٢٧ - ١٢٩) .

(٣) هو هارون بن محمد (المعتصم بالله) بن هارون الرشيد ، أبو جعفر ، توفي سنة (٢٣٢) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/١٥٠ - ١٥٢) .

مات ، لم يُصَلِّ عليه إلاّ نحو أربعة أنفس [1] . وكان كلما تكلم في أحد سقط ، لأنَّ كلامه تعظيمٌ[2] لأمر الله ورسوله ، لا لهوى نفسه .

ولقد كان بِشْرُ الحَافي [3] يقول لمن سأله عن مرضه : أحمد الله إليكم ، بي كذا وكذا . فقيل ذلك للإمام أحمد ، وقالوا : هو يبدأ بالحمد قبل أن يصف مرضه ، فقال أحمد : سلوه عمَّن أخذ هذا ؟ - يعني إن كان هذا لم ينقل عن بعض من سلف فلايقبل منه . فقال بِشْر: عندي فيه أثر ، ثم روى بإسناده عن بعض السَّلَف قال : « مَنْ بَدَأَ بالحَمْدِ قَبْلَ الشَّكْوَى لَمْ تُكْتَبْ عَلَيهِ الشَّكْوى » فبلغ ذلك الإمام أحمد ، فَقَبِلَ قوله .

وقد صحَّ عن النَّبيِّ ، ﷺ ، أنَّه قال : « مَنْ عَمِلَ عَمَلاً لَيسَ عَلَيهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ » [4] فأمر الله تعالى ورسوله ، ﷺ ، والردُّ على من خالف

(١) هو الحارث بن أسد المحاسبي ، تكلم الإمام أحمد بن حنبل في بعض تصانيفه رحمه الله ، توفي سنة (٢٤٣) هـ . وكيف لو رأى الإمام أحمد تصانيف من بعده من أهل الشطحات والطامات ، ماذا كان يقول في حقِّهم . انظر ترجمته في « شذرات الذهب » (٣/١٩٧ - ١٩٨) .

(٢) في (ف) لأن كلامه كان تعظيماً.

(٣) هو بشر بن الحارث المروزي المعروف بالحافي ، من أهل الزُّهد والوَرَع ، من أهل مرو ، سكن بغداد وتوفي بها سنة (٢٢٧) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٣/١٢٢ - ١٢٦) .

(٤) رواه البخاري موصولاً ومعلقاً بصيغة الجزم في البيوع: باب النجش، ورواه مسلم في «صحيحه» رقم (١٧١٨) من حديث عائشة رضي الله عنها. ورواه أيضاً أحمد في «المسند» (٦/١٤٦ و١٨٠ و٢٥٦).

أمر الله ورسوله لايُتلقَّى إلاّ عَمَّنْ عَرفَ ماجاء به الرَّسول ، ﷺ ، وخَبَرَهُ خِبْرَةً تَامَّةً .

قال بعض الأئمة : لايؤخذ العلم إلاّ عَمَّن عُرِف بالطلب .

وأمر الرسول ، ﷺ ، نوعان :

أمـرٌ ظاهــر بعمَـل الجـوارح ، كالصَّـلاة ، والصِّيام ، والحَـجِّ ، والجهاد ، ونحو ذلك .

وأمـر باطن تقوم به القلوب ، كالإيمان بالله ، ومعرفته ، ومحبته ، وخشيته ، وإجلاله ، وتعظيمه ، والرِّضا بقضائه ، والصَّبر على بلائه ، فهذا كُلُّه لايؤخذ إلاّ ممن عَرف الكِتاب والسُّنَّة .

ومن لم يقـرأ القرآن ، ويكتب الحديث ، لايُقتدى به في عِلْمِنا ، فمن تكلَّم على شيء من هذا مع جهله بما جاء به الرَّسول ، ﷺ ، فهو داخل فيمن يفتري على الله الكذب ، وفيمن يقول على الله ما لايعلم ، فإن كان مع ذلك لايقبل الحقّ ممن ينكر عليه باطله لمعرفته ماجاء به الـرَّسول ، ﷺ ، بل ينتقص به وقال : أنا وارث حال الرَّسول ، ﷺ ، والعلماء وارثون علمه ، فقد جمع هذا بينَ افتراء الكذب على الله ، والتكذيب بالحقِّ لما جاء به ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْكَافِرِينَ ﴾ [الزُّمر : ٣٢] فإنَّ هذا المتكبِّـر عن الحقّ والانقياد له ، منقـادٌ لهواه وجهله ، ضالٌّ مُضِلٌّ ، وإنما يرثُ حال الرَّسول ، ﷺ ، من علم حاله ثم اتَّبعه ، فأما من لا علمَ له بحاله فمن أين يكون وارثه ؟ .

ومثل هذا لم يكن ظهر في زمن [السَّلف الصَّالح حتَّى يجاهدوا فيه حقَّ الجهــاد ، وإنَّمــا ظهــر هذا في زمنٍ] قَلَّ فيه العلم ، وكثُرَ فيه الجهل ، ومع هذا فلابدَّ أن يقيم الله من يُبيِّن للأمَّة ضلاله ، وله نصيبٌ من الذُّلِّ والصَّغار بحسب مخالفته لأمر الرَّسول ، ﷺ .

يالله العجب ، لو ادَّعى رجل معرفة صناعة من صنائع الدُّنيا ، ولم يعرفه النَّاس بها، ولا شاهدوا عنده آلاتها، لكذَّبوه في دعواه، ولم يأمنوه على أموالهم ، ولم يمكِّنوه أن يعمل فيها مايدَّعيه من تلك الصناعة ، فكيف بمن يدَّعي معرفة أمر الرَّسول ، ﷺ ، وما شوهد قطُّ يكتب علم الـرَّسول ، ﷺ ، ولا يجالس أهله ، ولا يدارسه ؟ فلله العجب كيف يقبل أهل العقل دعواه، ويحكِّمونه في أديانهم يفسدها بدعواه الكاذبة.

إنْ كُنْتَ تَنُــوحُ يا حَمَــامَ البَـانِ   لِلْبَين ، فأينَ شَواهدُ الأحْـزَانِ؟
أجْفَـانُـكَ للدُّمـوعِ أم أجْفَـانِي   لَا يُقْبَــلُ مُدَّعٍ بِلَا بُرْهَــانِ

ومن أعـظم ماحصل به الذُّلُّ من مخالفة أمر الرَّسول ، ﷺ ، ترك ماكان عليه من جهاد أعداء الله ، فمن سَلَكَ سبيل الرَّسول ، ﷺ ، في الجهـاد عَزَّ ، ومن ترك الجهاد مع قدرته عليه ذَلَّ . وقد سبق حديث « إذَا تَبَايَعْتُم بالعِينَةِ ، واتَّبَعْتُمْ أذْنَابَ البَقَر ، وتَركْتُم الجِهَادَ في سَبيلِ الله ، سَلَّطَ الله عَلَيْكُم ذُلَّاً لاينْـزَعُـهُ مِنْ رِقَابِكُم حَتَّى تُرَاجِعوا دِيْنَكُمْ » (١) . ورأى النَّبيُّ ، ﷺ ، سِكَّـةَ الحـرث فقـال : « مَا دَخَلَتْ دَارَ قَوْمٍ إلَّا

(١) تقدم تخريجه صفحة (٢٧) رقم الحاشية (٤) فانظره هناك .

دَخلَهَا الذُّل »(١) . فمن ترك ماكان عليه النَّبيُّ ، ﷺ ، من الجهاد مع قدرته عليه واشتغل عنه بتحصيل الدُّنيا من وجوهها المباحة حصل له الذُّلُّ، فكيف إذا اشتغل عن الجهاد بجمع الدُّنيا من وجوهها المحرَّمة؟.

قوله ، ﷺ ، : « وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُم » .

هذا يدلُّ على أمرين :

أحدهما: النهي عن التشبُّه بأهل الشَّرِّ، مثل أهل الكفر، والفُسوق ، والعصيان ، وقد وبَّخ الله من تَشبَّه بهم في شيء من قبائحهم ، فقال تعالى : ﴿ فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ ، كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ ، وَخُضْتُم كالّذي خَاضُوا ﴾ [التوبة : ٦٩] .

وقد نهى النَّبيُّ ، ﷺ ، عن التشبُّه بالمشركين وأهل الكتاب ، فنهى عن الصَّلاة عند طلوع الشَّمس وعند غروبها ، وعلَّل بأنه « حِيْنَئِذٍ يَسْجُدُ لَهَا الكُفَّارُ » (٢) فيصير السُّجود في ذلك الوقت تشبُّهاً بهم في الصُّورة

(١) رواه البخاري في « صحيحه » (٤/٥) في المزارعة ، باب مايحذر من عواقب الاشتغال بآلة الزرع من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه بلفظ « لَايَدْخُلُ هَذَا بَيْتَ قَوْمٍ إلَّا أدْخَلَهُ الله الذُّلَّ » . وذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٤/١٢٠) من رواية الطبراني عن أبي أُمامة أيضاً بلفظ : « مَا مِنْ أهْلِ بَيْتٍ يَغْدُو عَلَيهم فَدَّانٌ إلَّا ذَلُّوا » . وليس المقصود الذَّم للزراعة ، فإن رسول الله ﷺ حثَّ على الزِّراعة ، وإنما هو محمول على من شغله الحَرْثُ والزَّرْعُ عن القيام بالواجبات والجهاد .

(٢) هو جزء من حديث طويل ، رواه أحمد في « المسند » (٤/١١١) ومسلم رقم

الظَّاهرة ، وقال ، ﷺ ، : « إنَّ اليَهُودَ والنَّصَارَى لا يَصْبَغُونَ فَخَالِفُوهُم »[(١)] .

وفي رواية عنه ، ﷺ ، : « غَيِّروا الشَّيْبَ ، وَلاَ تَشَبَّهُوا باليَهُودِ » [(٢)] ، وقال ، ﷺ ، : « خَالِفُوا المُشْرِكِينَ ، أحفُوا الشَّوَارِبَ وأعْفُوا اللِّحَى » [(٣)] .

وفي رواية « جُزُّوا الشَّوَارِبَ وَأرْخُوا اللِّحَى ، خَالِفُوا المَجُوسَ » [(٤)] .

= (٨٣٢) في صلاة المسافرين ، باب إسلام عمرو بن عبسة ، من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه .

(١) رواه البخاري رقم (٣٢٧٥) في الأنبياء ، باب ماذكر عن بني إسرائيل ، ورقم (٥٥٥٩) في اللباس ، باب الخضاب ، ومسلم رقم (٢١٠٣) في اللباس ، باب في مخالفة اليهود في الصبغ ، وأبو داود رقم (٤٢٠٣) في الترجل ، باب الخضاب ، والنسائي (١٣٧/٨) في الزينة ، باب الخضاب ، وابن ماجه رقم (٣٦٢١) في اللباس ، باب الخضاب بالحناء ، وأحمد في « المسند » (٢٤٠/٢) كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

(٢) رواه الترمذي رقم (١٧٥٢) في اللباس ، باب ماجاء في الخضاب ، من حديث أبي هريرة ، والنسائي (١٣٧/٨) وأحمد في « المسند » (١٦٥/١) من حديث الزُّبير بن العوام ، والنسائي (١٣٧/٨) من حديث عبد الله بن عمر ، وهو حديث صحيح بطرقه وشواهده .

(٣) رواه البخاري رقم (٥٥٥٣) في اللباس ، باب تقليم الأظفار ، ومسلم برقم (٢٥٩) في الطهارة ، باب خصال الفطرة ، من حديث عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما .

(٤) رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٢٦٠) في الطهارة ، باب خصال الفطرة ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

وأمر ، ﷺ ، بالصَّلاة في النِّعال مخالفة لأهل الكتاب (١) . وروي عنه ، ﷺ ، أنه قال : « لَيْسَ مِنَّا مَنْ تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا ، لاَتَشَبَّهُوا باليَهُودِ والنَّصَارى ، فإنَّ تَسْلِيمَ اليَهُودِ الإِشَارَةُ بالأصابع ، وتسليم النصارى بالأكُفِّ » خرَّجه الترمذي (٢) .

ونهى ، ﷺ ، عن التشبُّه بهم في أعيادهم .

وقال عبد الله بن عمر : من أقام بأرض المشركين يصنع نَيْروزهم ومهرجانهم ، وتشبَّه بهم حتَّى يموت حُشِرَ يوم القيامة معهم .

وقال الإمام أحمد : أكره حَلْقَ القَفَا ، هو من فعل المجوس ، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم .

فالتشبُّه بالمشركين والمغضوب عليهم والضَّالين من أهل الكتاب منهيٌّ عنه ، ولابدَّ من وقوعه في هذه الأمَّة ، كما أخبر به الصَّادق المصدوق ، ﷺ ، حيث قال : « لَتَتَّبِعُنَّ سَنَنَ مَنْ قَبْلكُم شِبْراً بِشِبْرٍ ، وذِرَاعاً بِذِراعٍ ، حتَّى لَوْ دَخَلُوا جُحْرَ ضَبٍّ لَدَخَلْتُمُوهُ » قالوا : يارسول الله : اليهود والنَّصارى ؟ قال : « فَمَنْ ؟ » (٣) .

---

(١) روى أبو داود رقم (٦٥٢) وابن حبان رقم (٣٥٧) موارد ، والحاكم (١ / ٢٦٠) وصححه ووافقه الذهبي من حديث شداد بن أوس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « خَالِفُوا اليَهود ، فإنَّهم لايُصلُّون في نِعَالهم ولا في خِفَافِهم » وهو حديث صحيح .

(٢) رواه الترمذي رقم (٢٦٩٦) وإسناده ضعيف ، ولكن له شاهد من حديث جابر بمعناه ، فهو به حسن .

(٣) رواه البخاري (١٣ / ٢٥٥) في الاعتصام ، ومسلم رقم (٢٦٦٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

قال ابن عُيَيْنَة : كان يقال : من فَسَدَ من علمائنا ، ففيه شبه من اليهود ، ومن فسد من عُبَّادنا ففيه شَبَه من النَّصارى .

ووجه هذا أن الله ذمَّ علماء اليهود بأكل السُّحْتِ ، وأكل الأموال بالباطل ، والصدِّ عن سبيل الله ، وبقتل النَّبيين بغير حَقٍّ ، وبقتل الذين يأمرون بالقِسْطِ من النَّاس ، وبالتكبُّر عن الحقِّ ، وتركه عمداً خوفاً من زوال المآكل والرئاسات ، وبالحسد ، وبقسوة القلب ، وبكتمان الحقِّ ، وتلبيس الحقّ بالباطل ، وكل هذه الخصال توجد في علماء السوء من أهل البدع ونحوهم . ولهذا تشبَّهت الرَّافضة باليهود في نحوٍ من سبعينَ خَصْلةً.

وأما النَّصارى فذمَّهم الله بالجهل والضَّلالة ، وبالغُلُوِّ في الدِّين بغير الحقّ ، ورفع المخلوق إلى درجة لايستحقها ، حتى يدَّعي فيه الإلَهية ، واتِّباع الكُبراء في التحليل والتحريم . وكل هذا يوجد في جُهَّال المنتسبين إلى العبادة من هذه الأمَّة .

فمنهم من يعبد بالجهل بغير العلم ، بل يذم العلم وأهله ، ومنهم من يغلو في بعض الشيوخ فيدَّعي فيه الحلول،ومنهم من يدَّعي الحلول المطلق والاتحاد ، ومنهم من يغلو فيمن يعتقده من الشيوخ ، كما يغلو النَّصارى في رهبانهم ، ويعتقدون أن لهم أن يفعلوا في الدِّين ماشاؤوا ، وأن من رضي عنه غفر له ، ولايبالي بما عمل من عمل ، وأن محبتهم لايضرُّ معها ذنب .

وقد كان الشيوخ العارفون يَنْهَوْنَ عن صحبة الأشرار ، وأن ينقطع

العبد عن الله بصحبته الأخيار ، فمن صحب الأخيار بمجرد التعظيم لهم والغلوِّ فيهم زائداً عن الحدِّ، وعلق قلبه بهم، فقد انقطع عن الله بهم ، وإنما المراد من صحبة الأخيار أن يوصلوا من صحبهم إلى الله ، ويسلكوا طريقه ، ويعلِّموه دِينه .

وقد كان النَّبيُّ ، ﷺ ، يحثُّ أهله وأصحابه على التمسك بالطاعة ، ويقول : « اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الله ، لَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيئاً » (١) .

وقال لأهله : « إنَّ أَوْلِيَائِي مِنْكُم الْمُتَّقُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ ، لَايَأْتِي النَّاسُ بالأعْمَالِ ، وَتَأْتُونَ بالدُّنْيَا تَحْمِلُونَهَا عَلَى رِقَابِكُمْ فَتَقُولُونَ : يامُحَمَّدُ . فَأَقُولُ : قَدْ بَلَّغْتُ » (٢) .

ولما سأله ربيعة الأسلمي مرافقته في الجنَّة قال له : « فأعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ » (٣) .

فإنما يُراد من صحبة الأخيار إصلاح الأعمال والأحوال ، والاقتداء

---

(١) رواه البخاري رقم (٢٦٠٢) في الوصاية ورقم (٤٤٩٣) في سورة الشعراء ، ومسلم رقم (٢٠٦) في الإيمان ، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، واللفظ له .

(٢) ذكره بنحوه المتقي الهندي في « كنز العمال » (٩٦/٣) رقم (٥٦٥٩) من رواية الدَّيلمي عن معاذ رضي الله عنه .

(٣) هو جزء من حديث رواه مسلم في « صحيحه » رقم (٤٨٩) في الصلاة ، باب فضل السجود والحثِّ عليه ، وأبو داود رقم (١٣٢٠) والنسائي (٢٢٧/٢) من حديث ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه .

بهم في ذلـك ، والانتقـال من الغفلة إلى اليقـظة ، ومن البطالة إلى العمـل ، ومن التخليط في التكسب ، والقـول والفعـل إلى الوَرَع ، ومعرفة عيوب النَّفْسِ وآفاتها واحتقارها، فأمّا من صحبهم وافتخر بصحبتهم، وادَّعى بذلك الدعاوى العريضة وهو مُصِرٌّ على غفلته وكسله وبطالته ، فهـو منقطع عن الله من حيث ظَنَّ الوصول إليه ، كذلك المبالغة في تعظيم الشيوخ وتنزيلهم منزلة الأنبياء هو ماينهى عنه .

وقـد كان عُمَـرُ وغيره من الصّحـابة والتابعين ، رضي الله عنهم ، يكرهون أن يطلب منهم الدُّعاء ويقولون : أنبياء نحن ؟ . فَدَلَّ على أن هذه المنزلة لاتنبغي إلاّ للأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام ، وكذلك التبرُّك بالآثـار ، فإنمـا كان يفعله الصَّحابة ، رضي الله عنهم ، مع النَّبيِّ ، ﷺ ، ولم يكـونـوا يفعلونه مع بعضهم بعضاً ، ولايفعله التابعون مع الصَّحابة مع عُلُوِّ قدرهم .

فَدَلَّ على أن هذا لايفعـل إلاّ مع الـرَّسـول ، ﷺ ، مثـل التبـرُّك بوضوئه ، وفضلاته ، وشعره ، وشرب فضل شرابه وطعامه .

وفي الجملة ، فهذه الأشياء فتنةٌ للمعظِّم والمعظَّم لما يُخشى عليه من الغُلُوِّ المُدْخِلِ في البِدعة . وربما يترقَّى إلى نوعٍ من الشِّرْكِ .

كل هذا إنما جاء من التشبُّه بأهل الكِتَاب والمُشركين الذي نُهيت عنه هذه الأمَّة .

وفي الحديث الذي في « السُّنن » : « إنْ مِنْ إجْلَالِ الله إكْرَامَ ذِي الشَّيْبَـةِ المُسْلِم ، والسُّلْطَانِ المُقْسِطُ ، وَحَامِلِ القُرْآنِ غَيْرَ الغَالي فِيهِ

وَالجَافِي عَنْهُ » (١) ، فالغُلُوُّ من صفات النَّصارى ، والجفاء من صفات اليهود ، والقصد هو المأمور به .

وقد كان السَّلَفُ الصالح ينهَوْن عن تعظيمهم غاية النَّهي ، كالحسن(٢) ، والثَّوري ، وأحمد ، وكان أحمد يقول : من أنا حتَّى تجيئون إليَّ ؟ اذهبوا اكتبوا الحديث ، وكان إذا سُئل عن شيءٍ ، يقول : سلوا العلماء ، وإذا سُئل عن شيءٍ من الوَرَع يقول : أنا لايَحِلُّ لي أن أتكلَّم في الوَرَع ، لو كان بِشْرٌ حَيّاً تكلَّم في هذا .

وسُئل مرَّةً عن الإخلاص فقال : اذهبوا إلى الزُّهَّاد ، أي شيء نحن حتَّى يجاء إلينا ؟ .

وجاء إليه رجلٌ فمسح يده على ثيابه ومسح بهما وجهه ، فغضب الإمام أحمد، وأنكر ذلك أشدَّ الإنكار وقال: عمَّن أخذتم هذا الأمر ؟ .

الأمر الثاني : التشبُّه بأهل الخير والتقوى والإيمان والطاعة ، فهذا حَسَنٌ مندوبٌ إليه ، ولهذا يشرع الاقتداء بالنَّبيِّ ، ﷺ ، في أقواله ، وأفعاله ، وحركاته ، وسكناته ، وآدابه ، وأخلاقه ، وذلك مقتضى المحبة الصَّحيحة ، فإن [المرءَ مع من أحبَّ ، ولابدَّ من مشاركته في أصل عمله وإن قصر المحبُّ عن درجته .

---

(١) رواه أبو داود في « سننه » رقم (٤٨٤٣) في الأدب ، باب في تنزيل الناس منازلهم ، وفي سنده أبو كنانة القرشي ، وهو مجهول كما قال الحافظ في « التقريب » وله شاهد من حديث طلحة بن عبيد الله بن كريز مرسلاً ، فالحديث حسن ، وقد حسنه الحافظ العراقي ، والحافظ ابن حجر .

(٢) في (ف): كمالك.

قال الحسن : لاتغتر بقولك :] المرء مع من أحبَّ ، إن من أحبَّ قوماً اتَّبع آثارهم ، ولن تلحق الأبرارَ حتّى تتبع آثارهم ، وتأخذ بهديهم ، وتقتدي بسنَّتهم ، وتُصبح وتُمسي وأنت على منهاجهم ، حريصاً على أن تكون منهم ، وتسلك سبيلهم ، وتأخذ **طريقهم** ، وإن كنت مقصِّراً في العمل . فإن ملاك الأمر أن تكون على استقامة ، أما رأيت اليهود والنصارى وأهل الأهواء المردية يحبون أنبياءهم ، وليسوا معهم ، لأنهم خالفوهم في القول والعمل ، وسلكوا غير **طريقهم** ، فصار موردهم النَّار ؟ نعوذ بالله من النَّار .

كان يونس بن عُبَيد [1] يُنشد :

فإنَّـكَ مَنْ يُعْـجِـبْـكَ لاَتَـكُ مِثْلَهُ   إذَا أنْتَ لَمْ تَصْنَع كَمَا كَانَ يَصْنَعُ

وجاء في الحديث : « ابْكُوا ، فإنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا » [2] .

فمن أحبَّ أهل الخير وتشبَّه بهم جهده ، فإنه يلحق بهم كما في الحديث المشهور : « مَنْ حَفِظَ أرْبَعِينَ حَدِيثاً حُشِرَ يَوْمَ القِيَامَةِ في زُمْرَةِ

---

(١) هو يونس بن عُبَيد ، شيخ البصرة في عصره . قال سعيد بن عامر الضُّبعيّ : مارأيت رجلاً قط أفضل منه . مات سنة (١٣٩) هـ . انظر « شذرات الذهب » (٢/١٨٨ ـ ١٨٩) و « الأعلام » (٨/٢٦٢) .

(٢) رواه ابن ماجه في « سننه » رقم (٤١٩٦) في الزهد ، باب الحزن والبكاء من حديث سعد بن أبي وقاص ـ رضي الله عنه ـ ، وإسناده ضعيف ، وذكره الحاكم في « المستدرك » (٤/٥٧٨) من كلام عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما .

العُلَمَـاءِ » [1] ومن أحبَّ أهـل الـطَّاعـة والـذِّكـر ـ على وجـه السُّنَّة ـ وجـالسهم ، فإنَّـه يغفـر له معهم وإن لم يكن منهم ، « فَإنَّهُم القَـوْمُ لاَيَشْقَى بِهِمْ جَلِيْسُهُم » [2] .

فأمـا التشبُّه بأهل الخير في الظَّاهر، والباطن لايشبههم، فهو بعيد منهم ، وإنمـا القصد بالتشبه بهم أن يقال عن المتشبه بهم إنه منهم وليس هو منهم، **فهذا من خصال النِّفاق كما قال بعض السَّلف: استعيـذوا** بالله من خشوع النِّفاق ، أن يرى الجسد خاشعاً ، والقلب ليس بخاشع .

كان السَّلف يجتهـدون في أعمـال الخير ، ويعـدُّون أنفسهم من المقصِّرين المفرِّطين المُذنبين ، ونحن مع إساءتنا نعدُّ أنفسنا من المحسنين .

---

(١) هذا الحديث وإن كان مشهوراً ، لكنه غير صحيح ، فقد قال الدَّارقطني : طرقـه كلها ضعيفة ، وليس بثابت . وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني : جمعت طرقه في جزء ليس فيها طريق تسلم من علَّة قادحة . وقال النَّووي في خطبة « أربعينه » (ص ١٨) : واتَّفق الحفاظ على أنه حديث ضعيف وإن كثـرت طرقه . وانظر « كشف الخفاء » (٢/٣٢٢) و « الفوائد المجموعة » رقم (٩١٩) و « الدُّرر المنتثرة » ص (١٢٢) .

(٢) هذه الـجـمـلة ، جزء من حديث طويل رواه الـبخـاري (١١/١٧٩) في الدعوات ، باب فضل ذكر الله تعالى ، ومسلم رقم (٢٦٨٩) في الذكر ، باب فضل مجالس الذكر ، والترمذي برقم (٣٥٩٥) في الدعوات ، كلهم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه .

كان مالك بن دِينَار(1) يقول: إذا ذُكِرَ الصَّالحون: «أُفٍّ لي وتُف».

وقال أيُّوبُ (2) : « إذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ كُنْتُ عَنْهُم بِمَعْزِلٍ » .

وقال يُونس بن عُبيد(3): «أعدُّ مائة خَصْلَةٍ مِنْ خِصَال الخَيْرِ لَيْسَ فِيَّ مِنْها وَاحِدَةٌ » .

وقال محمد بن وَاسِع (4) : « لَوْ أنَّ للذُّنُوبِ رَائِحَةً لَمْ يَسْتَطِعْ أحَدُ أنْ يَجْلِسَ إليَّ » .

يامن إذا تشبَّه بالصَّالحين فهو عنهم متباعد ، وإذا تشبَّه بالمذنبين فحاله وحالهم واحد ، **يا من يسمع ما يليِّن الجَوَامِدَ(5)وطَرْفُهُ جَامِدٌ** ، وقلبه أقسى من الجلامد ، يامن بردَ قلبه عن التّقوى ، كيف ينفع الضَّرب في حديد بارد ؟ .

---

(1) هو مالك بن دينار البصري أبو يحيى ، كان مشهوراً بالورع ، يأكل من كسبه ، تابعي ، توفي بالبصرة سنة (127) هـ وقيل غير ذلك . انظر « سير أعلام النبلاء » (5/362 - 364) و« شذرات الذهب » (2/118) و « الأعلام » (5/260 - 261) .

(2) هو أيوب بن أبي تميمة كيسان السَّخْتياني البصري ، أبو بكر ، تابعي ، من الزُّهاد ، توفي سنة (131) هـ . انظر « شذرات الذهب » (2/135) .

(3) هو يونس بن عُبَيْد بن دينار العَبْدي ، من أصحاب الحسن البصري ، من الغُزاة ، توفي سنة (139) هـ . انظر « شذرات الذهب » (2/188) .

(4) هو محمد بن واسع بن جابر الأزدي ، فقيه ورع ، سيد القرّاء ، كان من الزهاد من أهل البصرة ، توفي رحمه الله سنة (123) هـ ، انظر « شذرات الذهب » (2/97) .

(5) في (ف): يسمع ما تلين به الجوامد

يا نَفْسُ أَنَّـــى تُؤْفَـكِـينْ ؟ حَتَّى مَتَى ، لَا تَرْعَـــوِينْ ؟
حَتَّـى مَتَى ، لَا تَعْقِلِينْ [1] وَتُبْصِـــرِينَ وَتَسْمَعِينْ [2] ؟
يا نَفْسُ إنْ لَمْ تَصْـــلُحِـــي فَتَـشَبَّهِي بالصَّــالِحِينْ [3]

* * *

آخره. والحمد لله وحده، وصلَّى الله على سيِّدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدِّين

وافق الفراغ من نسخه يوم الأربعاء لتسع مضت من ربيع الثاني من شهور سنة (١٢٩٩) هـ وصلَّى الله على محمدٍ وعلى آله وسلَّم

* * *

وجاء في آخر مخطوطة دار الإفتاء في الرياض ما نصه:

آخره، والحمد لله رب العالمين، صلى الله على سيد المرسلين وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين، عدد ما صلي عليه المصلون وغفل عن الصلاة والسلام الغافلون، والحمد لله أولاً وآخراً، ظاهراً وباطناً.

* * *

(١) في الأصل والمطبوع : لاتعقلينا .
(٢) في الأصل والمطبوع : لاتسمعينا .
(٣) في الأصل والمطبوع : بالصالحينا .

الفهارس العامة (*)

إعداد

حسن مَرْوَة

(*) قمنا بفهرسة ماجاء في متن الكتاب فقط باستثناء فهرس الأحاديث والآثار فقد ضمّناه ماجاء منها في الحواشي أيضاً ووضعنا بجواره حرف (ح) .

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً ﴾	٣٨ ، ٣٩	١٢
﴿ ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة ﴾	١٩٥	٢٧
سورة النِّساء		
﴿ من يطع الرسول فقد أطاع الله ﴾	٨٠	٣٠
سورة المائدة		
﴿ ماقلت لهم إلّا ما أمرتني به ﴾	١١٧	١٣
سورة الأعراف		
﴿ اعبدوا الله مالكم من إله غيره ﴾	٥٩	١٣
﴿ إن الذين اتخذوا العجل ﴾	١٥٢	٣٣
﴿ وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ﴾	١٧٢	١١
سورة الأنفال		
﴿ ماكان لنبيٍّ أن يكون له أسرى ﴾	٦٧	٦
﴿ فكلوا مما غنمتم حلالاً طيباً ﴾	٦٩	٢٤
سورة التوبة		
﴿ فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ﴾	٥	٦
﴿ فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم ﴾	٦٩	٤١
﴿ يا أيُّها النبيُّ جاهد الكفار والمنافقين ﴾	٧٣	٧
سورة هود		

فهرس الأحاديث والآثار

الحديث	الصفحة
من جعل الهموم همّاً واحداً همَّ آخرته	٣٠
من حفظ أربعين حديثاً حُشر يوم القيامة في زمرة العلماء	٤٨
من عمل عملاً ليس عليه أمرنا	٣٨
من كانت الدنيا همّه	٢٩
من يؤويني ؟، من ينصرني ؟.	١٨
من يمنعني حتى أؤدي رسالات ربي	١٥
وأنا أقول ذلك ، إن لهم مني لذبحاً	٦
وجعلت قرة عيني في الصلاة	٢١
يا أيها الناس قولوا : لا إله إلاّ الله تفلحوا	١٥
يابني فلان إني رسول الله إليكم	١٨
يا دنيا اخدمي من خدمني	٣٠
ياعم والله لو وضعوا الشمس	١٦

* * *

فهرس الأقوال المأثورة

الصفحة

* * *

فهرس الأبيات الشعرية

* * *

فهرس الأماكن والبلدان

* * *

فهرس الأعلام

* * *

مصادر ومراجع التحقيق

● إحياء علوم الدين : للغزالي ، طبعة البابي الحلبي بالقاهرة .

● الإصابة في تمييز الصحابة : لابن حجر العسقلاني ، مصورة دار إحياء التراث العربي ببيروت .

● الأعلام : للزركلي ، الطبعة الرابعة ، دار العلم للملايين ، بيروت ١٣٩٩ هـ .

● اقتضاء الصراط المستقيم في مخالفة أصحاب الجحيم ، لابن تيمية ، بعناية الشيخ محمد حامد الفقي .

● البداية والنهاية : لابن كثير ، مصورة دار المعارف ببيروت ، ومكتبة النصر بالرياض ١٣٨٦ هـ .

● تاج العروس : طبعة وزارة الإعلام في الكويت بتحقيق جمهرة من العلماء .

● تاريخ دمشق : لابن عساكر (الجزء الأربعون) بتحقيق الباحثة الفاضلة سكينة الشهابي .

● الجامع الصغير : للسيوطي ، تحقيق الشيخ محمد محيي الدِّين عبد الحميد ، دمشق دون تاريخ .

● الدُّر المنثور في التفسير المأثور : للسيوطي ، بيروت دون تاريخ .

● الدُّرَر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة : للسيوطي ، تحقيق محمود الأرناؤوط ومحمد بدر الدِّين قهوجي ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ١٤٠٨ هـ .

● ديوان أبي العتاهية : تحقيق الدكتور شكري فيصل ، دار الملاح ، دمشق .

● سنن أبي داود : بتحقيق عزة عبيد الدعاس وعادل السيد ، حمص ١٣٨٨ هـ .
● سنن البيهقي : مصورة دار الفكر ببيروت .
● سنن الترمذي : بتحقيق عزة عبيد الدَّعاس ، حمص ١٣٨٥ هـ .
● سنن ابن ماجه .
● سنن النّسائي الصغرى : بشرح السيوطي وحاشية السندي ، المكتبة التجارية الكبرى ، القاهرة ١٣٤٨ هـ .
● سير أعلام النبلاء : للذهبي ، تحقيق جماعة من المحققين ، بإشراف شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠١ ـ ١٤٠٥ هـ .
● السيرة النبوية : لابن هشام ، مصورة مؤسسة علوم القرآن ، دمشق .
● شذرات الذهب في أخبار من ذهب : لابن العماد الحنبلي (١ ـ ٦) أشرف على تحقيقه وخرَّج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، حققه وعلَّق عليه محمود الأرناؤوط ، دار ابن كثير ، دمشق ـ بيروت ١٤٠٦ ـ ١٤١١ هـ .
● فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني ، طبعة مصر .
● صحيح مسلم : بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي ، مصورة دار إحياء التراث العربي ببيروت .
● العِقد الثمين في تاريخ البلد الأمين : للفاسي بتحقيق جماعة من العلماء ، مصورة مؤسسة الرسالة ببيروت .
● الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة : للشوكاني ، بتحقيق الشيخ عبد الرحمن المعلمي اليماني ، مصورة دار الكتب العلمية ببيروت .
● كشف الخفاء : للعجلوني ، مصورة دار إحياء التراث العربي ببيروت .
● كنز العمال : للمتقي الهندي ، مصورة مؤسسة الرسالة ببيروت .
● متن الأربعين النووية : للإمام النووي ، حققه وخرَّج أحاديثه وعلَّق عليه محمود الأرناؤوط ، نظر في تحقيقه وحكم على أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط ، مكتبة دار العروبة للنشر والتوزيع ، الكويت ١٤١٠ هـ .

● مختصر تاريخ دمشق : لابن منظور ، تحقيق جماعة من المحققين ، دار الفكر بدمشق .
● مجمع الزوائد : للهيثمي ، طبعة مكتبة القدسي بالقاهرة .
● مختار الصّحاح : للرازي ، المطبعة الأميرية بالقاهرة ١٣٧٣ هـ .
● المستدرك على الصحيحين : للحاكم ، مصورة دار المعرفة ببيروت .
● مسند أبي يعلى الموصلي : تحقيق حسين الأسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ١٤٠٤ ـ ١٤٠٩ هـ .
● مسند الإمام أحمد بن حنبل : مصورة المكتب الإسلامي ودار صادر ، بيروت ١٣٨٩ هـ .
● مسند الشهاب : للقضاعي : تحقيق عبد المجيد السّلفي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ١٤٠٥ هـ .
● مصنف ابن أبي شيبة ، طبعة الباكستان .
● معجم ما استعجم : للبكري ، تحقيق السّقا والشلبي والأبياري ، مصورة عالم الكتب ببيروت .
● موارد الظمآن : للهيثمي ، تحقيق عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية ببيروت .
● ميزان الاعتدال : للذهبي ، تحقيق علي محمد البجاوي ، مصورة دار المعرفة ببيروت .

* * *